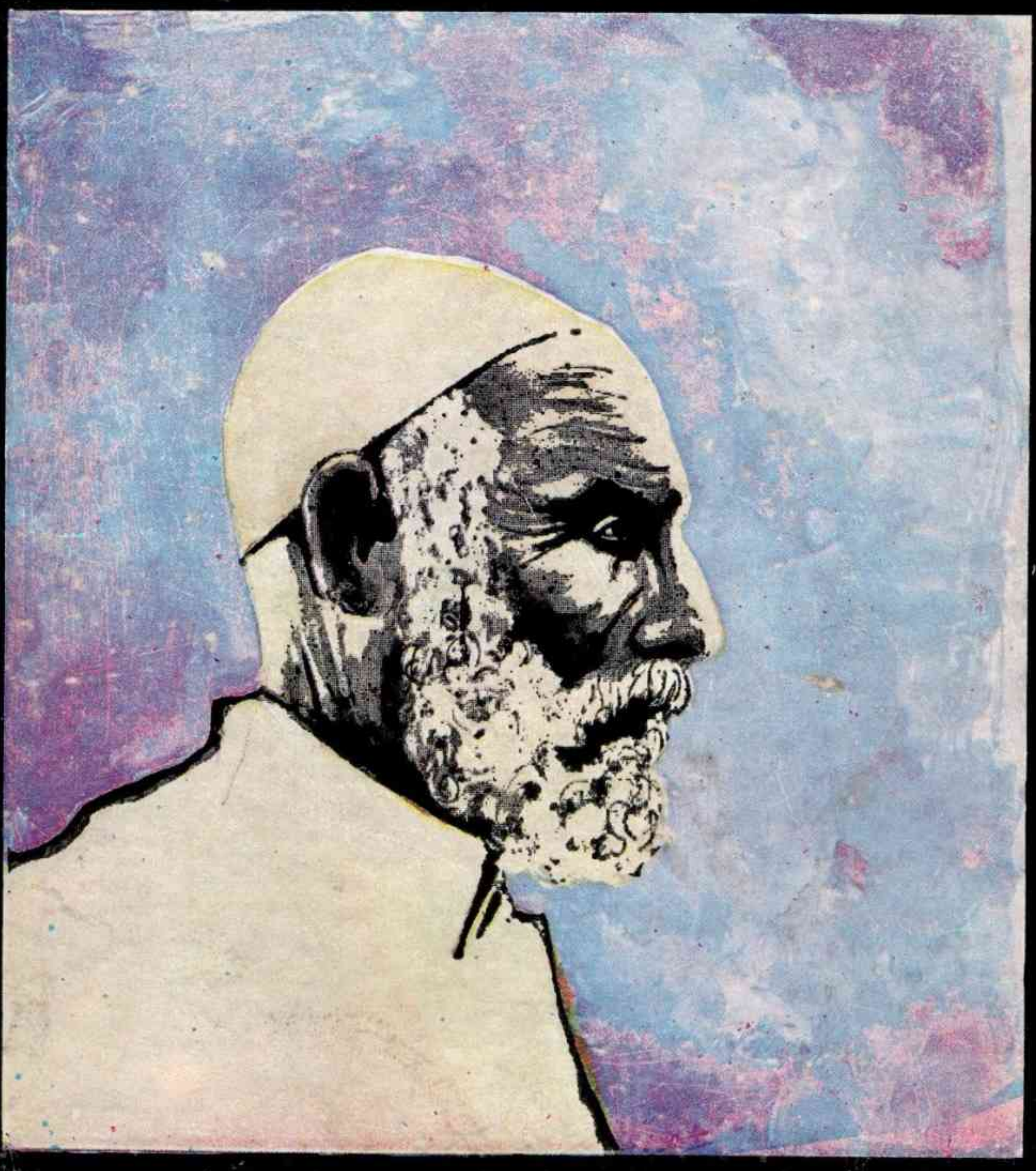
أبطال العرب - ١١

عمر المختار



دار العودة - بيروت



عمر المختار

أبطال العرب - ١٤

عمر المختار

شيخ الشهداء

دار العودة - بيروت





كان « عمر المختار » مناضلا عظيما حقاً ... ولكنه كان يمثل حقيقة أخرى : هي أنه رمز لشعب كان عظيماً في دفاعه عن الحرية ، والوطن ، والعروبة ، والدين .

رجل وشعب

كان عمر « المختار » منـــاضلاً عظيماً : تلك حقيقةٌ أكَّدتها حياتُه الحافلة بالنضال على مدى عشرين عاماً .

ولكن الرجل كان يمثّل حقيقــةً أخرى : هي أنه رمزٌ لشعبٍ كان عظيماً في دفاعـه عن الحرية والوطن والعروبة والدين .

* * *

والحق ، لقد كان نضال « عمر المختار » نضالين اثنين :

أولهما : أنـه علّـم الناس وَسَاسَهم في المرحـلة الأولى من حياته ـ وهي مرحلة طويلة على كل حال ـ تعرّف خلالها على حقيقة النفس البشرية ، فامتلك القلوب باللين ، والمعروف والتقوى ، والعقل ، فكان نِعْمَ المعلّم ، ونعم الموجِّه ، ونعم السياسي ...

وثاني النضالين : قيادتُه الرشيدة ـ في المرحلة الثانية من حياتـــه ـ المعاركَ ضدّ غاصبي الوطن ، ومُبيدي البشر ...

* * *

وأما الشعب ، الذي كان « عمر المختار » رمزاً مشرقاً له ، فقد ظلّ يناضل بسلاحٍ لئن كان قليلاً مفلولاً ، إلا أن السواعـــدَ التي كانت تُمسك به والنفوس التي تندفع وراءه ، كانت أقـــوى من عَسْف المغتصبين وبَغْي الظالمين .

لقد وضع الأعداء في حسابهم أن يتمّ احتلالهم لليبيا في غضون ... أسبوعين اثنـــين ! وظنّـوا أن أسطولهم الذي أخذ يَمْخُـر البحرَ نحو الشواطىء العربية ، إنمـــا يقوم بـ ... نزهة بحرية ، ليس إلاّ !! فمن ذا الذي ينهض للدفاع عن البلاد ، وأهلها نيامٌ ـ كما حسب الأعـــداء في استرسالهم لأحلام الغرور ـ متخلّفون ، كارهون للحكم العثماني ... وهـــا هو ذا الحكم الايطالي يُقبِل من وراء البحر « طَوْقَ نجاة » !!!

فإذا أعداءُ العروبة والدين يُجابَهون بقوّةٍ لم تكن في حسابهم، وبعنادٍ، وبصبرٍ على المكاره عجيب!

وإذا أسبوعا النزهة البحرية، يمتدّان إلى ... عشرين عامـاً ميلادية .. أضاع ـ خلالها ـ العدو المتغطرس صوابَه، وفَقَدَ رُشْدَه .. فـاستَشْرَى، وراح يضرب حاملي السلاح في مواجهته، مثلما يَقْصِفُ الآمنين في بيوتهم فلا يفرّق بين أم وشيخ وطفل ..

وحشيّةٌ نادرةُ المثال، ستظلُّ في ذاكرة الشعب، وضمير التاريخ!

وحشيةٌ وغدرٌ وجُبْن، تُسَجَّل بمِـدادِ العار للمعتدين، وبمدادِ الفخار لشعب ضحّى بنصفه، ليكون من حقّ النصف الآخر أن يعتزّ بما بذل في سبيل حرّيته وكرامته الإنسانية.

في ٢٧/١٠/١٩١١ وجّهت إيطاليا إنذاراً إلى الدولة العثمانية تأخذ عليها فيه انها اهملت شان ليبيـــا ! وأنها تحرّض الليبيين على الرعايا الايطاليين وتضطهدهم !! .. ولما كانت الحكومة الايطاليـــة حريصة على شرفها ومصالحها ، فقد قرّرت أن تحتلّ طرابلس وبنغازي احتلالاً عسكرياً ، فذلك هو الحـــلّ الوحيد !!! ، ولينظر جيلُنا الى بُدع الاستعمار وحيله . . .

الضعف ... يغري !

منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وإيطاليا تتطلّع إلى امتلاك ليبيا . ومع بداية القرن العشرين ، راحت تتّخذ الخطواتِ العمليةَ لتحقيق أهدافها :

فقد فتحت المدارس في كلٍّ من طرابلس وبنغازي ،

وأرسلت الإرساليّات التبشيرية . وأهمُّ من هذا وذاك أنها افتتحت فروعاً لـ « بنك روما » ، الذي أخذ يُقْرِض الأهلين أموالاً كثيرة ، بشروط يُخيّل فيها للمقترِض أنها سهلةٌ يسيرة ، ولكنها تُبطِن شرّاً مستطيرا . ذلك أن التأخُّر في السداد كان يؤدي ، بالأرض المرهونة لقاء الدين ، إلى أن تُسجَّل ملكاً للبنك !

أضِفْ إلى ذلك أن « القنصلية الايطالية » ، في هاتين

المدينتين الرئيسيتين ، كانت مركزاً للنشاط السياسي ، والدعاية الايطالية ، والتجسس على أهل البلاد .

وليس من شك في أن الدولة العثمانية - وإليها كان يتبع إقليما طرابلس وبنغازي - قد أهملت القطر الليبي ، فقد كان فقيراً يحمّل خزانة الدولة من النفقات أكثر مما تجبيه منه من الواردات !

وقد اتصلت إيطاليا بالدول العظمى لتحقيق احتلال طرابلس ، وحصلت على موافقة بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية وألمانيا .

وكانت إيطاليا تشعر شعوراً كاذباً بالعظمة ، مبعثه نجاحها في الوصول إلى الوحدة الإيطالية بحدّ السيف ، ووصل بها هذا الشعورُ إلى حدّ المناداة بعودة « الامبراطورية الرومانية » ، حتى خُيِّل لبعض الكتّاب الحالمين أن الحصول على هذه المستعمرات سيكون سبيلاً لأن تأخذ « إيطاليا الكبرى » مكانها وسط الدول العظمى !

وحصلت إيطاليا سنة ١٩٠٤ على وعد باطلاق يدها في طرابلس ، إذا تغاضت عن إطلاق يد فرنسا في المغرب ،

فارسلت الى ليبيـــا البعوث لكشف الداخـل ومسح الأراضي ، وكان البلاد أرض إيطالية ، بل إنها همّـت ـ سنة ١٩٠٨ ـ بأن تحتلّ طرابلس ، لولا أن أرسلت الدولة العثمانية إليها جيشاً يعزّز حاميتها ، فانصرفت عنهـــا إيطاليا إلى حين .

* * *

ثم إن ايطاليـا أعطت نفسها « المبرّر » لأن توجّـه ، يوم الأربعاء ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٩١١ ، إنـــذاراً إلى الدولة العثمانية ، وهذه مقدمته :

يا صاحب الدولة :

« ما انفكّـت الحكومة الايطالية ، منذ سنين ، تذكّـر « الباب العالي » بضرورة وضع حدّ لسوء النظام وإهمال الحكومة العثمانية ، في طرابلس وبنغازي ، وإنالة هـــذه البلاد ما تتمتّـع بـه جميـع أقسام إفريقية الشمالية . وهذا التغيير ـ الذي يقتضيه «التمدّن» ـ يضع المصالح الحيوية الايطالية في الاعتبار الأول ، بالنظر لقصر المسافـــة بين تلك البلاد والشواطىء الايطالية ... الخ » .

وأشار هذا الانذار ، العجيب الحافل بالتجنّي ، إلى تهديد طرابلس لايطاليا لقربها منهـا ! وتجاهل الدولة العثمانية لرغبات إيطاليا في طرابلس ، وإهمالها لمصالحها الاقتصادية ! والتحريض على الرعايا الأوربيين، والطليان خاصة ، واضطهادهم !

وحيث أنه لا جدوى من الدخول في مفاوضات حول هذا الموضوع ،ولما كانت الحكومة الايطالية حريصةً على شرفها ومصالحها ، فقد « قررت أن تحتل طرابلس وبنغازي احتلالاً عسكرياً ، فذلك هو الحل الوحيد » ! وبعدئذ « تتفق الحكومتان على تقرير الحالة اللازمة » ! وأن على الحكومة العثمانية أن تُصدِر أوامرها ، حتى لا يلقى الاحتلالُ معارضةً ! وأن ترسل الجواب الحاسم خلال أربع وعشرين ساعة ، وإلا اضطُرّت الحكومةُ الايطالية إلى القيام بجميع الأعمال التي تضمن تحقيق الاحتلال !! . .

إنها حكاية « الذئب والحمل » ، التي تتكرر عبر العصور ، وفي كل أرض تحت الشمس . . .

وماذا كان ردُّ الدولة العثمانية ، التي أنهكتْها عوامل الضعف ، والتي لولاها ما جرُؤَ الطامعون على أن يوجّهوا إليها هذا الانذار ؟

قالت إن هذه البلاد ولايةٌ عثمانية لا يتخلّى عنها « الباب العالي » ، وأنْ ليس على الطليان فيها من خطر ألبتة ، وأن الاستعدادات التي تقوم بها إيطاليا - التي تربطها بالدولة العثمانية علاقات ودية - تتنافى مع عواطف الولاء ... واختتمت الآستانة ردّها - الذي سُلِّم للسفارة الايطالية في الساعة السادسة من صباح الجمعة ٢٩ أيلول (سبتمبر) - بإبدائها الاستعداد للحوار بشان المطالب الايطالية ، ولكن إذا رفضت إيطاليا وتابعت مقاصدها ، فان الحكومة العثمانية تقوم بما يتوجب عليها .

وما كان لهذا الردّ ، الذي يدلُّ على الضعف ، إلا أن يُسيل لعابَ الذئب المتربّص ...

وهكذا وجهت إيطاليا ، في يوم الجمعة نفسه ، إنذاراً آخر باعلان الحرب ... بحجة أن مهلة الأربع والعشرين

ساعة قد انقضت دون أن تتبلّغ « رداً مُرْضِياً » !!!

* * *

بدا جليّاً أن الوزارة في الآستانة ـ التي يرئسها « حقي باشا » وهي المسيَّرة بمشيئة « جمعية الاتحاد والترقّي » ذات النزعة التركية ـ لم تكن تابهُ بما إذا اغتُصِبَ هذا الشاطىءُ العربي أو لا !

وأما السلطان العثماني « محمد الخامس » ، الذي لم يكن له من حول، فقد عزَّ عليه تبييتُ إيطاليا العزمَ على الغدر بهذا الجزء العزيز من بلاد الاسلام. وقد صرّح أمام الوفود، التي أخذت تزوره طالبةً العون والامداد لدفع غائلة هذا العدوان ، فقال :

ـ لقد أردت أن أجمع «مجلس المبعوثان» (أي البرلمان)، ولكن عارضتْني وزارة حقي باشا ! (وقال) « إني كنت أحب أن تكون جميع استعدادات الدولة كتلك التي رأيتها في « أدْرَنة » و « سلانيك » ، ولكن وزارة حقي باشا أهملت أمر طرابلس الغرب ، بحجة الاقتصاد في النفقات الحربية ، وحلّت التنظيمات العسكرية التي كانت قد

أُنشئت في عهد السلطان عبد الحميد ، وجرّدت الأهالي من السلاح » ! [1] .

وقال في مرة أخرى :

- « إني طالعتُ تواريخَ العالم ، فلم أرَ اعتداءً على الحقوق أفظعَ من هذا الاعتداء الذي ارتكبته إيطالية » [2] .

---

(١) و(٢) كتاب «جهاد الأبطال في طرابلس الغرب» ، تأليف الأستاذ الطاهر أحمد الزاوي الذي يَشغَل اليوم منصب مفتي الجمهورية العربية الليبية ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

« رأيت طائفةً من الجنود يسوقون خمسين عربياً ، من رجال وأطفال . فادخلوهم مكاناً قد تهدّم ، وبدأ الضباط يقتنصون هـذا الصيدَ بمسدساتهم وبنادقهم مدةَ عشرين دقيقة ، وكانوا كلما سمعوا أنيناً من جثة أعادوا اطلاق النار عليها ... حتى ينقطع الأنين ! »

« فون غوتبرغ »

صحفي ألماني رافق الحملة

هل كانت ... « نزهـــة بحرية » ؟

بلغت الغطرسةُ بالطليان حداً ظنّوا فيه أن « حملتهم » هـذه التي وجّهوها إلى الشاطىء العربي الليبي ، لن تخوض حرباً حقيقية ، بل إنها ستكون في « نزهة بحرية » ! وما طرابلس إلا لقمة سائغة ، وليس على الأسطول الايطالي إلا أن يمدّ اليد ليبتلعها !

والحق ، لقد كانت القوات الايطاليـــة أوفر عدداً وأكثر عُدّة وتنظيما ، من القوات العثمانية المتمركزة في السواحل الليبية ، بما لا يقاس .

فقد تالفت قوات العدوان من : ٣٩ ألف جندي ، و ٦ آلاف حصان ، وألف سيـارة ، ونحو خمسين مدفـع ميدان ...

على حين لم تزد القوات العثمانية ـ عند بدء العدوان

الغادر ـ على خمسة آلاف رجل في منطقة طرابلس، وألفين في برقة ! ذلك أن وزارة « حقي باشا »، كانت قد سحبت القسمَ الأكبر من الجنود النظاميين في طرابلس لقتال أهل اليمن ، ثم لم ترجعهم بعد ذلك ، ولم ترسل جنوداً بمقدارهم. وكان في طرابلس أربعون ألف بندقية من نوع «سنيدر »، فاسترجعتها الحكومة الى الآستانة ، على وعدٍ بان ترسل بدلاً عنها بنادق بعددها من نوع « موزر » ولكنها لم تفعل من هذا شيئاً !

وذلك كله جعل ايطاليا تطمح إلى أن تحقق احتلالاً خاطفاً لأهم مدن الساحل العربي الليبي : « زوارة » في أقصى الغرب و«طبرق» في أقصى الشرق ، وما بينهما : « دَرْنَة » و « بنغازي » و« مِصْراتة و « الُخمْس » . وكان يساورها ظنٌّ بقدرتها أن تحتلّ هذه المدنَ الساحلية في آن واحد ، ثم تتخذ منها قواعد تنطلق منها نحو الداخل ...

كانت تُقدِّر ذلك ، نظراً لما تعرفه من ضعف الحامية العثمانية ، فضلاً عن أن تقارير المخابرات المتوافرة

لديها كانت تُنبي - وهذا منها منتهى الغباء - عن أن السكان العرب سيُهرَعون إلى استقبال الجيوش الغازية بالعناق والتهليل، اعتماداً على عواطف النفور والتذمّر التي كانوا يبدونها نحو الحكم العثماني !

كذلك قَدَّر المعتدون ...

فماذا فعلت الأقدار ؟

* * *

ظهرت السفن الحربية الايطالية، أول ما ظهرت في ميـــاه طرابلس مساء يوم الخميس ٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩١١، أي قبل الموعد لانتهاء أجل الانذار !.. وكان القصد من ظهورها، في هذا الموعد المبكّـر، العملَ على فرض حصار على الميـاه الليبية، ومنع وصول النجدات والامدادات الحربية.

ثم ما لبثت القيادة أن أصدرت التعليمات إلى قطـــع الأسطول بمباشرة الغزو، وذلك بان طلبت يوم ٢ تشرين الأول (أكتوبر)، من الحامية التركية أن تستسلم . . . فاستمهلت الحامية للاتصال بالآستانة، وحذّرت الأسطولَ

الايطالي - في الوقت ذاته - من مغبّة القيـام باي عمل حربي ، ونبّهت إلى ما يترتّب على ذلك من انعكاسات على أوضاع الجاليات الاوربية والجالية الايطالية خاصة !

ولكن ذلك لم يَنَلْ من عزم القائد الايطالي ، الذي رأى في هـذا التحذير مجرد إثارة للمخاوف في نفوس ضباطه ... فامر بقصف المدينة .

بدأ قصف طرابلس في الساعـة الثالثة والنصف من مساء يوم ١٠/٣ ... وتتابع القصف في اليوم التالي .

وقام العدو ، يوم ١٠/٥ بانزال قوة من البحارة تقدّر بنحو ألفين ، احتلّت المدينة دون مقاومة ، لأن الحامية التركية آثرت أن تغادر المدينة لتتمركز في جنوبها .

وتتابع قصفُ المدن الساحلية ، ولكنْ ما كان يتاح لجنود الأسطول المعتدي أن ينزلوا إلا بعد قتال عنيف ، وإذا نزلوا ما كان لهم أن يحتلّوا إلا رقعـة صغيرة من المدينة ... ثم يكون عليهم أن يتّخذوا فيها استحكامات تُمكّنهم من صدّ هجمات المجاهدين .

ولقد ساعد في تنظيم أعمال الجهاد ضبّاط عثمانيون ذوو همّة ، منهم : « أدهم باشا الحلبي » و « أنور بك » (أنور باشا فيما بعد) و « مصطفى كمال » (أتاتورك فيما بعد) و (عزيز المصري) ... وأما المقاتلون المجاهدون ، فقد كانوا العربَ من أبناء ليبيا ، قد أقبلوا يحدوهم الايمان بالحق والدفاع عن العرض والأرض .

وأدرك القائد العثماني « أنور بك »،أن هؤلاء المتطوّعة المتحمّسة بحاجة إلى تدريب ، فلم يألُ جهداً . وقد قُدّر عدد العرب ، الذين اشتركوا في هذه المعارك الأولى ، بنحو ١٥ ألفاً .

وفي هذه الفترة ظهر في الميدان المجاهدُ «عمر المختار»، بصفته « شيخ زاوية القصور » إحدى الزوايا الدينية فاستنفر القبائلَ وقاد المجاهدين ، واستطاع أن يساعد في تثبيت الأقدام تجاه العدوان على بنغازي .

* * *

على أن تركيا ، التي بدت متحمّسة لمساعدة عرب ليبيا على النضال ضد الطليان ، اضطرت إلى الانسحاب

تحت ضغط الحرب البلقانية التي كانت توشك أن تشتعل ، فتزيد من متاعبها في امبراطوريتها التي تتصدّع .

وهكذا وجدت نفسها مرغمةً على أن تعقد صلحاً مع ايطاليا ، حيث تمّت بينهما « معاهدة أوشي » في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٢ ، التي نصّت على أن تتوقّف الدولتان (التركية والايطالية) عن القتال ، وتسحب تركيا جنودها من ليبيـــا .

وهنا منح السلطان العثماني أهل ليبيـــا الاستقلال الداخلي المطلق التام ، على حين أصدر ملك ايطاليا ، في الوقت ذاتـه ، منشوراً موجهاً إلى الليبيين ، يُذكّرهم فيه بأن بلادهم خاضعة خضوعاً تاماً للسيادة الايطالية !

وانسحبت القوات العثمانية من طرابلس . ولكنّ قسماً كبيراً منها ظلّ في « برقـة » بقيادة عزيز المصري .

وظل العرب يقاتلون ويناضلون ... ومع أنهم كانوا يُغلَبون في بعض المواقع ، إلا أنهم كانوا يُوقِعون بالعدو خسائر لا يستهان بها ، جعلته يُعيد النظر في أن حملته على ليبيـــا ما هي إلا نزهـة بحرية !

واتجهوا إلى «حرب العصابات» ، التي كانت شديدة الوقع على العدو ، شديدة الفتك بـه ، وكانوا كثيراً مـــا يغنمون السلاح منه ليحاربوه بـه .

فلما استولى الحزب الفاشيستي على السلطة في ايطالية، في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٢ ، عمد إلى تشديـــد القبضة على عنق ليبيـــا ، فما زاد ذلك المجاهدين إلا عزماً على المقاومة والجهاد .

وفي الحق ، لقد توحّد الشعب العربي في ليبيـــا ، في تلك الفترة ، وانعدمت الخلافات والحزازات القبلية . . . حتى غدوا صفّاً واحـــداً في مواجهة عدوّ لدود مستبد يبغي إفناءهم لاستقـــدام أناسٍ من وراء البحر يُحِلّهم محلّهـــم .



ونَبَهَ ذِكْرُ « عمر المختار » بما أظهر من قوة الشخصية ، والكياسة ، والحكمة ، ورجاحة العقل ، مما جعل الناس يحبّونه ، ويحترمونه ، ويَمْضُون في طاعته حتى النهاية ... وتلك بعض خصال هذا الرجل ، الذي تُعِدُّه الأقدارُ لقيادة الجهاد على أعلى المستويات ، في المرحلة التالية من حياته الحافلة بجلائل الأعمال .



من هو «عمر المختـــار»؟

ولد «عمر المختار» ـ وهو من قبيلة «المَنفَة» من أكبر القبائل العربية في ليبيا ـ سنة ١٨٦٢ (١٢٧٩ هجرية)، في قرية «البطنان» في إقليم برقـة .

وقد تربّى في رعاية أبيه في بيت عزٍّ وكرم، وترعرع في البادية ، فنمت فيـه نوازعُ الحرية وتأصلّت خصال الشهامة والشجاعة والفروسية .

وكان إمام «السنوسية» ، في ذلـــك الوقت ، هو «السيد محمد المهدي» . وكان يقيم في واحة «الجغبوب» ، القريبة من الحدود الليبيـة المصرية ، إلا أن نفوذه كان يمتدّ إلى سائر أنحاء إقليم برقـــة . وقد أرسل «المختار» ولده «عمر» الى «زاوية الجغبوب» ليقرأ فيها القرآن وما تيسرّ من العلوم الاسلاميـــة ، وتلك كانت الوسيلة

الأكثر نفعاً في التعليم في ذلك الزمان . وسرعان ما ظهرت على « عمر » دلائل النجابة، مما لفت إليه نظر « المهدي »، فاحاطه بعنايته .

ثم إن « المهدي » عيّنه شيخاً في « زاوية القصور » في « الجبل الأخضر » شمالي برقة ... فقام بواجباته على ما ينبغي : التعليم ، وإكرام من يأوي إلى الزاوية من الفقراء وعابري السبيل ، وفضّ المنازعات بين القبائل .

وهنا نَبَهَ ذكر « عمر المختار » ، بما أظهر من قوة الشخصية ورجاحة العقل ، مما جعل الناس في « القصور » يحبّونه ، ويحترمونه ، ويَمْضون في طاعته حتى النهاية ... وما ذلك بالأمر اليسير،وأهل المنطقة منالقبيلة التي تسمى « قبيلة العبيد » ، التي اشتُهِر أبناؤها بقوة الشكيمة وشدةِ المراس ، وكان منهم أناسٌ قد جعلتهم تربيتُهمالاستقلالية ذوي مزاج عسير لا تسهل معه قيادتهم وسياستهم ، حتى شاع بينهم التمرّد على ما اعتاد العرب احترامَه ومراعاتَه ، وذلك ما كان أعيا العثمانيين في إخضاعهم .. إلا أن ما تحلّى به « عمر المختار » من قوة

الشخصية من ناحية ، ومن الكياسة والحكمة ورجحان العقل من ناحية ثانية ، قد مكّنه من أن يُروّض هـــذه النفوس الجامحة ويُسْلِس قيادهـــا دون أن يُفرط في مراعاة ما تجب مراعاته ، ففرض عليهم محبته مثلما أوجب عليهم الطاعة .

ثم إنـه عَرَضَتْ « للمهدي » أمور دعتـه للسفر الى السودان ، فكان « عمر المختار » من بين من اصطحبوه في سفرتـه .

وهناك في السودان ، عيّنه « المهدي » شيخاً « لزاوية عين كلك » . وقد ظل « المختار » فيها سنوات ، عاد بعدها إلى برقـة ، سنة ١٩٠٢ ، شيخـاً « لزاويـة القصور » من جديد . . . وظل فيها إلى أن نزلت القوات الايطاليـة في بنغازي سنة ١٩١١ .

وهنا أمسى « لعمر المختار » ، مع الحياة ، شان آخر . فلم يعد يكتفي بدوره شيخاً في زاويـة ، يعلّم ويوجّـه ويَسُوس ، بل بادر إلى الجهاد ، وأشتبك مع الطليان في

معارك في الجبـــل الأخضر ، وهو على رأس مقاتلةٍ من « العبيد » ... وكان - آنذاك - في نحو الخمسين من العمر.

* * *

ولعل من الجدير ذكره، دلالةً على كياسة «عمر المختار» ورجاحة عقله وسرعة مبادرتـه، تلك الحادثـة التي وقعت لدى انسحاب القائد « عزيز المصري » ، الذي كان قد ظل يحارب بقواتـه العثمانية في برقـة، حتى بعد أن تمّ التوقيـع على « معاهدة أوشي » في ١٨ / ١٩١٢/١٠ .

فقد طلب المجاهدون من هذا القائد أن يُسلّمهم سلاحَ الوحدة العسكرية المنسحبة ... ولكنه لم يستجب لهم .

وأظهر المجاهدون من الأعراب ، للقائد إصراراً على طلبهم ، وصلابةً ... وقد « بدأوا معه ، أولاً بالجدال ، وانتهوا أخيراً إلى الجلاد» كما يقول الأمير شكيب أرسلان، الذي يمضي في روايته فيقول :

« وعندما قطع الأعراب أملهم من تسلُّم البنـــادق بالرضى ، أطلقوا النار على العساكر العثمانيين ، فنشبت

معركةٌ بين الطرفين ، سقط فيها أكثر من ستين قتيلا من العرب ، وبضعة عشر من الجند !

وعند ذلك أمتد صريخ العرب بعضها إلى بعض ، وأقبلت من كل صوب ، تريد الانتقام من عزيز المصري وعسكره . وأخذت العرب تجتمع لمهاجمة الجند النظامي . ولم يرضَ السيد المهدي أن تكون النهاية قتلَ المسلمين بعضهم بعضاً ، وأن يُوقع العرب بجند الدولة التي كانت تحافظ على بلادهم فارسل عمر المختار لتلافي الشر ومنع الأعراب من الهجوم .

« فقطع عمر المختار مسافةَ أربعة أيام في يوم واحد ، مواصلا الإغذاذ ، إلى أن أدرك العرب قبل هجومهم ، فحجز الشر ، وأبلغهم ما في مقاتلة عسكر الدولة من الفضيحة والشماتة وسوء القالة ...

« وما زال بهم ، حتى أقنعهم بأن يتركوا ثارهم ، ويَعُدُّوا هذه الواقعةَ وكانها لم تكن . وبمقابل ذلك أخذ لهم - كما سمعت - البنادق التي كانت مسالتها هي سبب الشرّ الذي وقع »[1]

(١) « حاضر العالم الاسلامي » . الجزء الثاني ، ص ١٢٤ .

إن سرعة المبادرة ، والقدرة على الاقناع في مثل هذا الظرف الصعب،والحرص على حلّ المعضلات المستعصية... ذلك من بعض خصال هذا الرجل ، الذي تُعِدُّه الأقدارُ لقيادة الجهاد على أعلى المستويات ، في المرحلة التاليــة من حياتـه الحافلة بجلائل الأعمال .

« ايُّ خيرٍ لي أن اعيش مهاجراً
ذليلا ! عليّ أن اعود الى بلادي ،
لأموت على ثراها ، فأؤدي آخر حق
عليّ لله وللوطن » .

« عمر المختار »

المختار قائداً عاماً

ظلّ القتال متجدّداً بين الطليان والمجاهدين ، منذ قصفهم مدينة طرابلس يوم ٣ من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١١ ،ولم يكد ينقطع إلا نادراً ، بسبب وعدٍ أو عهدٍ من المعتدين يقطعونه على أنفسهم ، أو انتظاراً لمَدَدٍ يصل إلى المجاهدين من هذا البلد العربي الشقيق أو ذاك .

على أن مرحلةً من النضال جديدةً لاحت الأفق ، وتعيَّن على المجاهدين أن يخوضوها بضراوة، فقد كشَّر الغاصبون عن أنيابهم أكثر مما فعلوا في السابق ، وذلك منذ استولى الحزبُ الفاشيستي على شؤون ايطاليا في شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٢ ، فقد تهيَّأ الطليانُ لأعمال استعمارية جديدة ، ودليلُ ذلك ما أعلنه حاكم برقة الذي عيَّنته روما :

– إن جميع الاتفاقات التي عقدتها ايطاليا في السابق مع الليبيين ، تُعتبر باطلةً وملغاة !

فكان هذا الاعلانُ إيذاناً باندلاع نار الحرب من جديد .

ولقد كانت حرباً عنيفةً لا هوادةَ فيها . ذلك أن الحزب الفاشيستي ليس في وُسْعِه أن يقابل الايطاليين بفشل مهما كان نوعه ، بل أصبح يتطلّب الانتصار على عرب ليبيا باي ثمن . وكلما أمعن في تقتيلهم وتشريدهم ، ظنّ أنه استحق « وسام الشرف » الذي يُبرّر وجوده على رأس السلطة في بلده ! ! ! ومن هنا لم يبخل هذا الحزبُ على الليبيين العرب بالقسوة والقتل والتشريد ، بغية أن يسحق نضالهم الصامد ، الذي لم تُفلح قسوةُ الأمس بان تُطفىء لهيبَه أو تخمد جذوته ...

وكانت الحرب أشدّ ضراوة بالنسبة للشعب الذي كان آمنا ، فهي عنده دفاعٌ عن النفس ، والأهل ، والوطن ، والعروبة ، والشرف ، والدين . ومن هنا راح الليبيون يبذلون في حربهم كل مُرْتَخَصٍ وغال .

ومع أن الذين حملوا السلاح منهم ، كانوا جماعات صغيرة على كل حال ، فمن الحق أن يُقال إن كل رجل وامرأة كانوا من المجاهدين في تلك السنوات الصعبة ، بل لقد أسْهَم في الجهاد حتى الشّيب ...

وفي ذلك يقول «جزار ليبيا»، «الجنرال غراتسياني» ، الايطالي بمرارة :

ـ إننا نقاتل شعباً وأمة ، لا جيشاً أو جماعة !

وإذا كان من شان المصائب والأتراح أن تُوحِّد القلوب ، فقد وحّدتْ هذه المحنةُ المريعة قلوبَ الليبيين، حتى أمّحتْ من النفوس الضغائنُ والحن ، فسدُّوا على الأعداء كلَّ ثغرةٍ يمكن أن ينفُذوا منها لتفريق الصفوف.

ومن آيات تآلف القلوب ، أن الفئةَ المجاهدة من إحدى القبائل، عندما تتعرض لخطر القتل والأسر،فإنها سرعان ما تلتجأ إلى إحدى القبائل التي يُفترَض أنها تسالم الطليان،فتتفرّق الفئةُ المجاهدة بين أبناء هذه القبيلةالمجيرة.

وربما اضطُّرت فئةٌ من المجاهدين إلىأن تعتزل القتال إلى حين ، بسبب أن فرقة من العدو تطاردها ، فتقوم

فئةٌ من القبيلة المسالمة مكانَها في الجهاد ، تاركةً لها الوقت الكافي للراحة والاستجمام[1] .

* * *

ولقد أتى على قادة المجاهدين حينٌ بارحوا فيه البلاد إلى مصر العربية ، وكان فيهم « عمر المختار » .

ولكن المناضل ، الذي عشق البندقية وهام برائحة الأرض المخضّبة بالدماء الزكية؛ ما كان له أن يَطيق صبراً على هذا الهجران القسري : كيف يكتحل جفنه بالغمض بين اخوانه في أرض الكنانة، والغاصب يفتك بالأشقاء، هناك وراء الحدود ؟ ! أي هناء !! بل أي ذلّ !!

ولم يلبث الأسد خارج غابته المَسْتباحة إلا قليلا... ثم شدّ الرّحال إلى ليبيا العربية ، التي عليها أن تتابع النضال من خلال الجراح والأنين .

وقد قال يخاطب صديقه « عبد الرحمن عزام » ، وهو يودّعه في « حلوان » (بمصر) :

---

(١) « محاضرات في تاريخ ليبيا من الإستعمار الى الاستقلال » ، تاليف الدكتور نقولا زيادة ، ص ١٠١ وما يليها .

ـ أي خير في أن أعيش مهاجراً ذليلا ! عليّ أن أعود إلى بلادي لأموت على ثراها ، فأؤدي آخرَ حق عليّ لله وللوطن .

ثم عبر الحدود المصرية الليبية ، مع نفرٍ قليل من جماعته . وما كانت عودته لتخلو من المتاعب ، فقد كَمَنَتْ له قوةٌ إيطالية ، أمطرتْه هو وصحبه وابلاً من رصاص المدافع الرشّاشة . ولكن المجاهدين العائدين ، وقلوبهم تتوق إلى الجهاد ، استطاعوا أن يُصيبوا عجلاتِ سيارات العدو ، فيَعْطُبوها ... ثم يُبيدون جميعَ من فيها ، عن بكرة أبيهم .

فكان هذا الانتصار العابر كفيلاً بأن يبثّ الرعبَ في قلوب الأعداء .

* * *

عاد الأسد الى عرينه .

عاد « عمر المختار » إلى « الجبل الأخضر » .

ولعله من الخير أن نتوقّف قليلاً ، لنصف هذه البقعةَ من الأرض الليبية .

إن المنطقة المسمّاة بـ « الجبل الأخضر » ، هي ـ كما يصفها أحدُ أبناء ليبيـا البررة ـ : « تلك المروج الخضراء ، والجنان ذات الظلال الوارفـة ، الممتدة من سهول مدينـة بنغازي إلى الشرق ، على مسافـة ٤٠٠ كيلو متر تقريبا . وحيثما توجّـهت في الجبل الأخضر ، وقع نظرك على مروج خضر ... وأرُضه مغطّـاة بأنواع الأشجار ، من الزيتون ، والصنوبر ، والغار ، والآس ، والأرز ، والدُّفْلَـى . . . وأنواع من الورد البرّي الأبيض والأحمر ... وعلى طول الجبل ، من ناحية ساحل البحر ، تجد من الأنهار الجارية ، والعيون النابعـة ، ما يخجل لصفائـه نيلُ مصر ، وبردى دمشق »[1]

وبالاختصار إن « الجبل الأخضر » هو « لبنان » ليبيـــا .

والذي يهمّـنا ، بعد ذلك ، هو الإشارة إلى وفرة ما في الجبل الأخضر من الآجام والغابات ، التي سوف يلتجىء اليها

---

(١) « عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في طرابلس الغرب » . تأليف أحمد محمود (الطاهر أحمد الزاوي) . صفحة ٣٦ .

بطلنا « عمر المختار » وصحبه المجاهدون ، أثناء مناوشتهم للأعداء ، خلال السنوات التاليات من عمر هـذا النضال العظـــيم .

* * *

اتخذ « عمر المختار » من هذا الجبل الأخضر ، ميداناً للجهاد.

ولم يكد يستقرّ فيه ، حتى التفّ الناس حوله،تحدوهم العاطفةُ الوطنية والدينية ، ويجذبهم إلى « المختـــار » إيمانهم بشخصه وإخلاصه وصدق بلائه .

وقد توجّب عليه ـ تنظيماً للجهاد ـ أن يعيّن رؤساء لهؤلاء المجاهدين . فعيّـن :

« الفضل بو عمر » على قبيلتي « الحاسة »و «العبيدات».

و « حسين الجويفي » على قبيلـــتي « البراعصة » و « الدرسة » .

و « يوسف بو رحيل المسماري » على قبيلتي « العبيد » و « العرفة » .

واتفق هؤلاء الرؤساء بدورهم على أن يكون « عمر المختار » القائد العام لجميع المجاهدين .

ولقد كان ، من جملة خصال هذا البطل ، أنه قائدٌ وإداري جيد ، فكان يُشرف بنفسه على كل كبيرة وصغيرة من أمور القتال :

فهناك الإمداد الذي يصل من مصر . وهناك الاتصال المستمر الذي يجب أن يقوم به بين جماعات المجـــاهدين في سائر الأرجاء ، وهناك الأموال التي تجمع لتمكين المجاهدين من الحصول على حاجاتهم من الأكل والذخيرة والسلاح... وذلك كله يقتضي مقدرة ودراية وصبراً ودهاء .

على أن ما يجدر الوقوف عنده أن « عمر المختار » إذا كان قد وُفّق إلى أن ينفخ في المجاهدين روحاً عالية ، فإنه ـ من ناحية أخرى ـ لم يتساهل مع أي منهم في أمر من أمور النظام . فإذا ما اتفق أن اعتدى مجاهد على أحد بما

تاباه روحُ الجهاد ومقـــاصده ، لقي المعتدي على يد « المختار » ما يستحق من العقوبة . وكان المجاهدون يقبلون منه ذلك أحسنَ القبول ، لأن نفوسهم الكبيرة قد سَمَت بهم إلى أقصى ما يتطلّبه الجهـــادُ من معاني الانضباط والحب والخير .



كان على « عمر المختار » أن يتجنَّب
قَدْرَ المستطاع أن يخوض مع أعدائه
حرب مواجهة. لقد أخذ على عاتقه
أن يناوئهم ، ويقض مضاجعهم ،
ويعيق تَغَلْغُلَهم في عمق البلاد .



كرٌّ وفرٌّ

كان لـ « عمر المختار » ، في ذلك الحين ، من العمر ، اثنان وستون عاما ... وذلك يدلُّ ، بكل بساطة ، على ما في هذا الرجل من حبٍّ للوطن والتفاني في سبيل الدفاع عن العروبة والدين .

أجل ، اثنتان وستون سنة سلخها المختار على هذا الكوكب الأرضي ، وكان أجدر بأمثاله ـ الذين هم في هذه الشيخوخة البيضاء ـ أن يَخْلُدوا إلى الدَّعَة والسكينة ، ليموتوا في هدوء بين الأهل والأولاد والأحفاد .

ولكن ... هل يرضى البطلُ بأن يموت على فراشه . وثرى الوطنِ يُدنِّسه الغاصبون ؟ هل ترضى النفسُ الأبيّة الخلود إلى الراحة ، والأعداءُ يحصدون المواطنين حصدا ، كي يُحِلُّوا محلَّهم أولئك الوافدين من وراء

البحر ، ليزرعوا الأرض ، ويأكلوا الثمر ، ويُدنّسوا المقدّسات ؟!

و « عمر المختار » ، في حنكته التي أكسبته إياها الأيام والسنون ، يدرك مدى حاجته إلى السلاح الذي يفتك ... ولكن لعله يكفيه القليلُ الذي يَرِدُ إليه من هنا وهناك ..

« عمر المختار » ، يعرف قلّة رجاله إذا قيست بكثرة ما لدى العدو من الجند النظامي الوافرِ الخبرة والتدريب ..

ولكن « عمر المختار » ، الذي حنّكته الأيام والسنون ، يعرف ـ بعد هذا كله أو قبل هذا كله ـ كيف يستفيد مما يتّقد في قلوب صحبه المجاهدين من حميّة ، وكيف يُفجّر ما لديهم من الطاقة المختزنة على النضال والكفاح.

إن عليه أن يتجنّب ـ قَدْر المستطاع ـ أن يخوض مع أعدائه « حرباً حقيقية ..

إن عليه أن يتحاشى – قَدْر المستطاع – أن يُجابه الأعداء وجهاً لوجه .

إن عليه أن يتفادى – قَدْر المستطاع – الاصطدامَ معهم في وَضَحِ النهار ..

و « عمر المختار » – في نضاله ضد أعـــداء الوطن والعروبة والدين – لم يكن يتطلّع إلى أن ينتصر عليهم في ظروفه الراهنة .

وإنما هو أخذ على عاتقه أن ينـــاوءهم ، ويقضّ مضاجعهم ، ويُعيقَ – مـــا استطاع – تغلغلهم في عمق البلاد . وها هم أولاء ، قد مضى على نزولهم في الشطآن ثلاثة عشر عاما ، وما استطاعوا أن يَبْسُطوا يدَهم على البلاد !

إنها حرب الهجوم المباغت الذي يُعْقِبُه الارتداد السريع ، الكرُّ والفرُّ ، ذلك هو الأسلوب الذي سيتّبعه قائدُ المجاهدين« عمر المختار » في حربه مع الأعداء الطويلة المدى .

* * *

والطليان ، من ناحيتهم ، أزعجتهم هجماتُ المجاهدين .

فكانوا كلما أُخذوا على غِرّة ، أو تراجعوا أو اندحروا ، عمدوا إلى القتل الجماعي ، وسفكِ دم الأبرياء ، وهذا هو صنيعَ الجبناء الذين يملكون قوةً غاشمة دون أن يتمتّعوا بالحق والعدل .

فكانوا سرعان ما يرسلون طائراتهم تقصف المنازل ، وتدمر المزارع ، وتقتل من الأهلين المئات ، وتأسر الأعداد الغفيرة .. ثم تطلب منهم : أن يعلنوا خضوعهم لإيطاليا ! ولم يكلّف العدو نفسه مشقةَ معرفة أن هذا « الإعلان عن الخضوع » - إذا ما صدر عمّن تُدمَّر منازلُهم وتُسفَك دماؤهم ويُساقون إلى المعتقلات - لا يعني شيئاً قط ! ولكن غباءه كان يحمله ، كلما ظفر باعلان خضوع جديد ، على التهليل والاستبشار بأن « النصر » بات قريباً !!

ولقد اشتدّت حملات المحتلّين على الجبل الأخضر في عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ ، ردّاً على هجمات المجاهدين التي

تَقُلَتْ وطأتُها عليهم . ولكن ظلّ ما احتلّوه من الجبل الأخضر ، لا يزيد على مناطق متفرقة منه ، فظلت سلطتهم لا تتعدى النقاط التي يتمركز فيها جندهم .

* * *

وفي غمرة تصاعد حركة الجهاد ضد الطليان ، اتجه الأعداء إلى احتلال « الجغبوب » ، فلعلهم بذلك ينالون من معنويات المجاهدين .

وكانت قوات الاحتلال قد عمدت إلى التمهيد لهذه العمليـة الكبرى بان أنشأت بعض المطارات التي تساعدها في عملياتها العسكرية ، وتمكّنها من أن تراقب تحرّكات المجاهدين عبر الحـدود الليبية المصرية القريبـة من الجغبوب .

وقد توقّعت القيادة العسكرية الإيطاليـة أن تُواجـه مقاومةً عنيفة ، ووضعت في تقديرهـا احتمال أن ينزل « عمر المختار » ببعض قواته من الجبل الأخضر ، للدفاع عن هذه المدينة ، وذلك ما كان يفزعهم .

وهكذا قاموا بمشاغلة قوات « المختار » في الجبـل

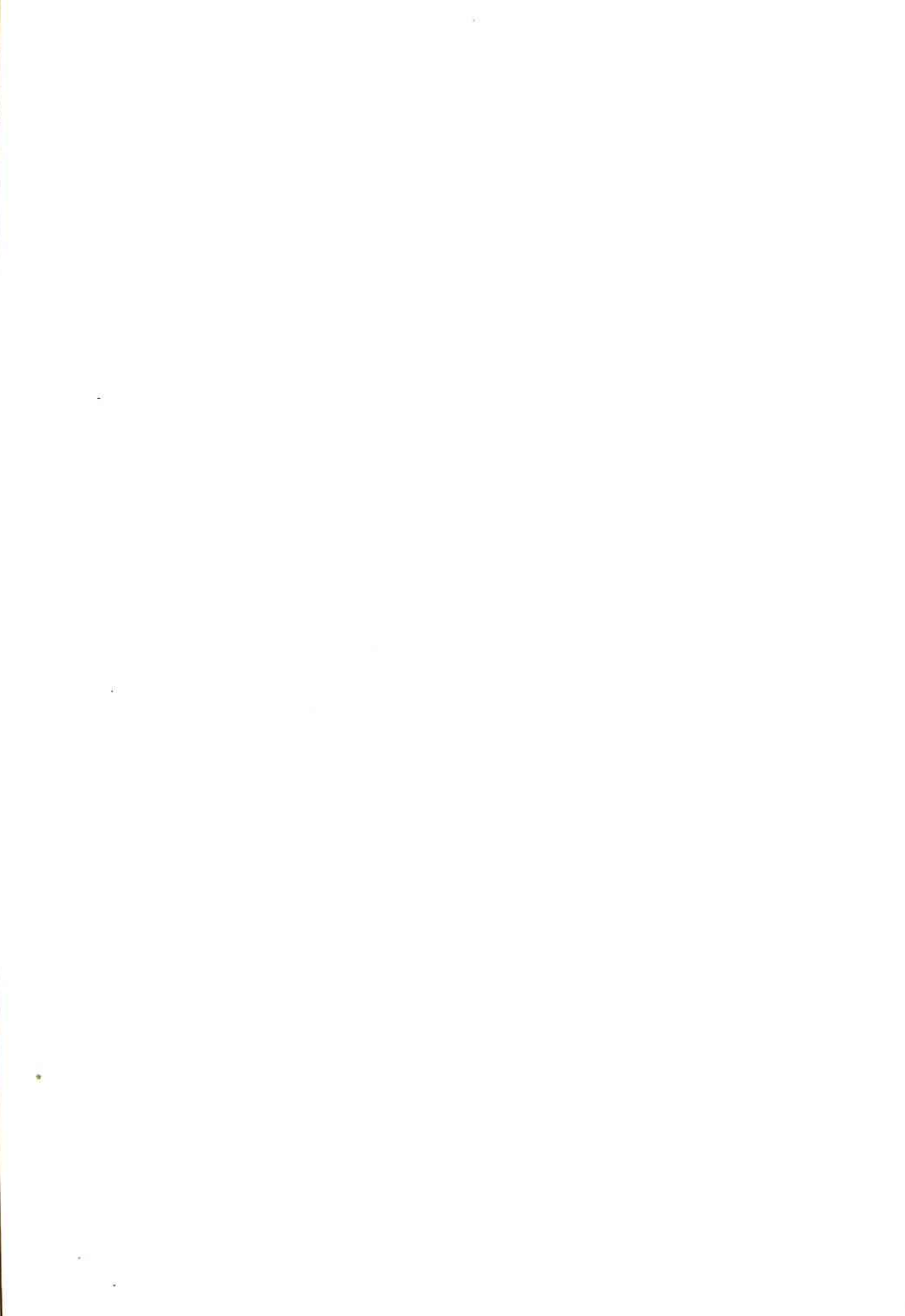
الأخضر ، بمطاردات مستمرة ، في حين توجّهت كتائبهم إلى الجغبوب .

وألقت الطـــائرات بالمنشورات على المدينة ، داعيةً أهلها إلى الاستسلام . ومع أن الرصد الجوي أكد لهم عدم وجود مظاهر للمقاومة في المدينة ، إلا أن عـامل الخوف والفزع من المجاهدين ظل آخذاً بخنـــاق الأعـداء ، الذين كانوا يُغِذّون السيرَ نحو الجغبوب ، ويقطعـون الطريق على مراحل !

ولكن أهل المدينة كانوا قد رحلوا عنها .. فدخلتها القوات الإيطالية « الفاتحة » في ٨ شباط (فبراير) ١٩٢٦ ، دون أن تلقى مقاومة بالطبع .



واحتلّ القائد الإيطالي ، في هذه المعركة ، بعض المواقع المرتفعة ... إلا أن « عمر المختار » سرعان ما قام بهجمة مضادة مع حركة التفاف سريعة ، اضطر معها العدو الى الانسحاب . ولكن « المختار » استفاد من التفكك الذي بدا في قوات العدو ، فأحاط بها المجاهدون إحاطة السوار بالمعصم ، واشتبكوا معهـا بالسلاح الأبيض ، فشاع الاضطراب في صفوف الأعداء ، والسعيد السعيد منهم من استطاع النجاة بروحه ...



المحتلون يفاوضون

لم تكن قوات « عمر المختار » ـ كما بَيَّنّا ـ كبيرةَ العدد ، فهي تقدّر بنحو ١٥٠٠ مجاهد تحت السلاح (منهم أربعمئة فارس فقط) ، ولكنها كانت متكاتفةً متلاحمة ، مثلما كانت تتمتّع بالقـــدرة على الكرّ والفرّ والتحرُّك السريع الخاطف .

ولقد حاول الأعداء تفكيك عرى وحدة المجاهدين ، وتهديم بنيانهم الذي أقامه « المختار » على أساس مكين من الفهم الصحيح والإخلاص الصادق لقضية بلادهم ، فعمدوا إلى استمالة زعمائهم بالأماني والوعود وما تشتهيه النفوس من جاه ومال ووعد بالعفو !

على أنه أتى على المحتلّين حينٌ روّعهم فيـــه « عمر المختار » أيما ترويع ، بتوالي هجماته وحسنُ تدبيرهـــا

وإحكامها ، وكان ذلك في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٢٧ ، وكان الجبل الأخضر هو مسرح هذه المعارك والاشتباكات . ثم رأى - بثاقب نظره - أن يتحوّل إلى « جبل العبيد » ، نظراً لما تُوفّره تلك المنطقة من إمكانات التجمّع ، وإعادة التنظيم ، والإستفادة من المراعي الخصيبة .

وما كان هذا التحوّل إلا ليزيدَ من مخاوف العدو الذي حَسَب له ألف حساب . على حين أن قوة المجاهدين - وفقاً لتقديرات المخابرات الإيطالية آنذاك - لم تكن تزيد على ثلاثمئة وخمسين . وإنما كان خوف العدو من الحميّة التي سيثيرها المجاهدون في صفوف القبائل التي تقيم في المناطق المحتلة ، وهذا يسبّب له - للعدو - متاعبَ ، ويحتّم عليه أن يزيد في اتخاذ التدابير التي تُمليها عليه الحيطة والحذر .

ثم إنه تراءى للقيادة العسكرية أن تُفاجئ المجاهدين بهجومٍ غادر ، لعلها تنال منهم بالمباغتة قبل أن ينالوا هم بالجهاد من قواتها .

وتحرّكت القوات العسكرية ، بقيادة قائد المنطقة « الماجور باسي » ، وهي مؤلفة من ١٢ ضابطاً و ٧٤١ جندياً ... تحرّكت هذه القوات ذات مساء ، وأخذت في السير بآليّاتها نحو « جردس العبيد » .

وفي الصباح ، زحفت عبر الغابات الكثيفة المنتشرة في المنطقة . ولكنها لم تلبث حتى أخذت تواجه مقاومة .

وتزايدت المقاومة على طول الطريق ، حتى بلغت القوات منخفضَ « الرحيبة » .

وهنا وُفِّق القائد « عمر المختار » إلى أن يجرّ هذه القوات إلى معركة ، اعتبرت فيما بعد من أعنف وأنجح المعارك ، التي وقعت في هذه المرحلة من مراحل الجهاد والنضال .

احتلّ العدو ، في أول هذه المعركة ، بعض المواقع المرتفعة . إلا أن « عمر المختار » سرعان ما قام بهجمة مضادّة ، في اتجاهٍ أماميٍ مع حركة التفاف ، اتّضح معها للقائد الايطالي استحالةُ بلوغ أهدافه . فما كان منه إلا أن أصدر أمره بالانسحاب.

على أن الانسحاب ، بدوره ، لم يكن يخلو من المحاذير الخطيرة. ذلك أن « عمر المختار » استفاد من التفكك الذي بدا في قوات العدو ، فضلاً عن معرفة المجاهدين التامة بالموقع ومنعرجاته ، فما كان منهم إلا أن قاموا بحركة التفافٍ سريعة عن طريق الغابة ، فتمكّنوا من أن يُحيطوا بالعدو إحاطة السوار بالمعصم .. وراحوا يعزلون قواته - بضرباتٍ مُحْكَمة - بعضُها عن بعض ، واشتبكوا معها بالسلاح الأبيض ، حيث التحم الجسد بالجسد ..

فشاع الاضطراب في صفوف الأعداء ، والسعيد السعيد منهم من استطاع أن ينجو بروحه من القتل ، في هذه المعركة التي أراد لها صاحبها أن تباغت المجاهدين لاستئصال شأفتهم ، فإذا جنده هم الذين يُستَأصلون !!

وسمّيت هذه المعركة الخالدة : « معركة الرحيبة » وقد وقعت يوم ٢٨ آذار (مارس) ١٩٢٧ .

ويعترف والي برقة الايطالي « الجنرال تيروتسي » بالهزيمة النكراء ، وبالخسارة الفادحة التي بلغت ٦ ضباط (من

أصل الاثني عشر ضابطاً) و ٣٤٠ جندياً (من أصل ٧٤٤) .

ولكن الطليان يَعْزُون هزيمتهم هذه إلى سابق مبالغتهم في تقدير ما يتمتّع به رجالُهم العاملون في صفوفهم من القوة والمقدرة ، فضلاً عن تقديرهم الخاطىء لقوة المجاهدين ، مثلما عَزَوْها إلى الخطأ في اتخاذ القرار بالانسحاب أثناء المعركة ، وإلى أن الهدف الأساسي من هذه الحملة لم يكن يتسم بالوضوح ، وإلى غير ذلك من المبرّرات !

ولكن فاتهم أمرٌ واحد : هو أن المجاهد العربي الليبي ، ينافح عن أرضه وقوميته ودينه ، وذلك ما يشدُّ من أزْره ، ويجعله يستهين بالموت في سبيل هذه المثل المقدّسة..

وأما المقاتل في صفوف الطليان ، فما هي المُثُل عنده ؟

وما القضية ؟

* * *

ولقد تعاقب على ليبيا العربية ، عـــددٌ من الحكام الايطاليين ، فكان كلٌّ منهم يتبيّـن ، بعد تسلّـمه مقاليدَ الأمور ، أنّ ما احتـلّوه من التراب الليبي لا يُحـقّق لهم أن يستقرّوا بهـدوء ، وأن ما يشاع من استسلام القبـائل ليس صحيحاً .. فكانت معرفة الحاكم الجديد بهذه الحقيقة المرة تدفعه الى أن يقوم بتوسيـع مناطق النفوذ الإيطالي ما استطاع .

ولما عُيّـن « المارشال بادوليو » حاكماً عاماً لليبيا ، في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٢٩ ، قـــام يعلن أن على الليبيين أن يختاروا : بين الاستسلام دون قيدٍ أو شرط ، وبين أن يُبادوا عن بكرة أبيهم !!

فماذا كان وَقْـع هذا الإنذارِ الجائر في النفوس ؟

كان كفيلاً باستنهاض العزائم واستثارة الهمم .. فإذا المجاهدون يُجدّدون هجماتهم ، على الرغم من أنها أصبحت أشدّ صعوبة ، بسبب أن الجبـــل الأخضر ـ معقلَـهم طَوالَ السنوات الماضيات ـ كانوا قـــد جَلَـوا عنه شيئاً فشيئاً تحت وطأة نار المستعمرين وحديدهم .

وأما عدد شهداء برقة ، وحدها ، منذ عام ١٩٢٣ حتى ١٩٢٩ ، في معارك الشرف ، فقد زاد على أربعة آلاف شهيد . ولكن كان يحتلُّ مجاهدون جُدُدٌ محلَّ الذين استُشْهدوا ، أولاً بأول .

ولا يدخل في هذا العدد من أُزْهِقَتْ أرواحُهم في غير ساحات القتال . فقد كانت حملات الطليان البربرية تفتك بالأهلين من غير حساب . وقد قُدِّرت خسارةُ برقة، في سنوات القتال المرير ، بما يتراوح ما بين ثلث إلى نصف سكانها !

فهل ثمة جهادٌ أعظمُ من هذا ، وبَذْلٌ ، وتضحيةٌ ، وفداء ؟..

وهل هناك ، أبلغُ من تلك ، بربريةٌ وهمجية ؟!..

* * *

في هذه الأثناء _ مطلع عام ١٩٢٩ _ طلب بعض ممثلي السلطة في برقة ، الاجتماع بالقائد « عمر المختار » بغيةَ الحوار والتفاهم .

وفي الاجتماع الذي عقد في بيت أحد المواطنين ، أخذ ممثل السلطة « لو بيلّو » يُقْنِع زعـيم المجاهدين بهذا المنطق الغريب :

– إن شريعة الإسلام لا تسمح لكم بهذه الحرب التي لا طاقة لكم بها ! وإن نبيَّكم لا يسمح لكم بمقاومة الدولة التي لا تقدرون على مقاومتها ! ! وإن الحكومة تتعهد بأن تدفع رواتب شهرية ، لكم ولأتباعكم ، إن أنتم سلَّمتم سلاحكم ودخلتم تحت حكمها ! !

فاتّضح لـ « عمر المختار » أن هذا « الاستعماري » إنما سعى إلى لقائه ليقنعه باسم الدين – والدين من هذا التأويل بَراء – أن حربه معهم لا يُقِرُّها الدين ، وأنها خاسرة، ثم يدعوه للاستسلام!!

فقال المجاهد العظيم ، وقد أخذتْه عزّة الإسلام :

– أنا أعلم أنك ارتكبت من الشدة مع الأهالي الخاضعين لكم،ما دلّ على أنك لا تريد الخير لهذه البلاد ولا لحكومتك نفسها . وهاأنتذا اليوم تطلب منّا تسليمَ السلاح ، وتهدّدنا بجيوش حكومتك في مجلسٍ أنت دعوتَنا إليه للتفاهم بما

يحلّ هذه المشكلة بيننا وبينكم . وأما القوة التي تلوّح لنا بها ، فقد عرفنا آخر ما عندكم منها، وقد جابهناها على مدى ثمانية عشر سنة ، ولا زلنا بعون الله كما كنا .

وإذا كان هذا الاجتماع قد انفضّ دون ما نتيجة ،فقد دعا ممثلو السلطة « عمر المختار » ليجتمعوا به من جديد . وقد رضي أن يحضر اجتماعاً ثانياً وثالثا .. تحدو به رغبةٌ في التفاهم مع العدو القوي ، ومحاولة فرض الشروط التي تضمن لمواطني بلده حداً أدنى من الحياة الكريمة ، في حين أن العدو لا يبغي إلا القضاء على المواطنين ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

على أن أمل « عمر المختار » بالتفـــاهم مع العدو المتغطرس ، كان ضئيلا منذ البداية . ولكن « المختار » المحارب ، كان يملك من مَضاء العزم على القتال ومواصلة الجهاد ، بمقدار ما يملك ـ وهو الشيخ المحنّك ـ من رجاحة العقل التي تجعله قادراً على ممارسة أسلوبٍ آخر من المناورة هي المناورة السياسية، وذلك غـــير الأسلوب الذي جرى عليه : الكرّ والفرّ .

وتعددت اللقاءات ..

إلى أن قدّم «المختار»، في إحداهـــا، لسلطات الاحتلال، الشروط التي يريد ضمانهـــا، حتى يتوقّف المجاهدون عن أعمالهم .. وأهم هذه الشروط :

١ ـ المساواة في الحقوق بين الوطني والإيطالي .

٢ ـ أن تكون اللغة العربية معترفاً بها رسمياً في دوائر السلطات الإيطالية .

٣ ـ ألا تتدخل السلطات في أمور الدين، وأن يكون للمواطنين فتحُ المدارس التي تُعلّم علوم الدين.

٤ ـ ألا يقتصر التعليم العالي على الإيطاليين دون الليبيين .

٥ ـ أن يكون الليبيون أحراراً في حمل السلاح على اختلاف أنواعه .

٦ ـ أن تُعيد السلطاتُ إلى المواطنين ما اغتصبتْه من أملاكهم .

٧ ـ العفو العام عن جميع المجرمين السياسيين ، وإطلاق سراح المسجونين .

٨ ـ أن يكون للأمة رئيسٌ منها تختاره ، ويكون لهذا الرئيس مجلس من كبار رجالاتها له حق الإشراف على مصالحها .



لقد تفننوا في التنكيل بالسكان ،
حتى أنهم عمدوا ، ذات مرة ، إلى
أن يربطوا أثنين من المجاهدين بين
سيارتين ، دفعوهما في اتجاهين
مختلفين . فتقطع جسداهما ، على
مشهدٍ من أبناء قبيلتها المستسلمة !

« غراتسياني » .. سفاح ليبيا

تلك كانت شروط « عمر المختار » .

وهي حدٌّ أدنى لما يمكن أن يطالب به مناضلون قد حملوا السلاح في وجه الغاصب طوال ثمانية عشر عاماً (من ١٩١١ ـ ١٩٢٩) .. وإنها شروطٌ تُظهر ما يتحلّى به هذا المجاهد ـ الأمين على حريّة أمته وكرامة دينه ـ من ترجيحٍ لمقتضيات الضرورة عندما يعزّ بلوغُ شاطىء الانتصار المؤزّر .

هذا هو « عمر المختار » .

ولكن المحتلّين هم دائماً شيء آخر ، مجبولون بالصلف والخسّه والغدر .. وإلاّ هل كانوا غاصبين محتلّين ؟

إنهم ما كانوا يريدون لليبيا العربية خيراً أي خير .

وكل الذي كانوا يرجونه هو سحق هذا المناضل الشيخ ، الذي أعياهم ، وأقضّ مضاجعهم ، وأوسع جنباتهم وخزاً وتجريحا .

وعندما تكشّف الوجهُ الأغبر عن أنيـــاب الذئب الغادر ، أطلق المجاهد الحكيم الحليم نداءه المشهور ، في مطلع العام ١٩٣٠ ، يبيّـن فيـــه للرأي العام ، العربي والعالمي ، مـــا سلكتْـه معه السلطاتُ الاستعمارية من أساليب الحيل والخداع ، ويُحمّـلها ـ كمناضل شريف ـ مسؤولية استمرار القتال بين الوطنيين وجيش الاحتلال

وأدركت السلطات أن الأسد لم يسقط فريسةً ، وأنه عاد إلى معاقله ، وإلى نضاله .. فعادت هي إلى إجراءاتها التعسفية ، من قمعٍ ، وسفك دمـــاء ، ومصادرة أموال وأراضٍ ، وزيادة المساحاتِ التي تحتلّـها .

ووجدت أن عليها أن تحتل إقليم « فزّان» الصحراوي إلى الجنوب من منطقة طرابلس . فتحرّكت قواتُها ، في أواخر عام ١٩٢٩ ، نحو الجنوب . وقد استمرّت قوات « الجنرال غراتسياني » تعمل في أقصى الجنوب ، تلاحق

المجاهدين ، وتقصفهم بالطائرات، وتشن عليهم الغارات، المتوالية ، وتشتت شملهم ، حتى أوصلتهم إلى الحدود الليبية الجزائرية وإلى حدود « تشاد » .

وقد استغرقت عمليات احتلال « فزان » أربعة أشهر: من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٩ إلى نيسان (ابريل) ١٩٣٠ .

وكانت تلك مناطق صحراوية مكشوفة ، يتعذّر فيها على المجاهدين الإلتجاء إلى أماكن تحميهم من القصف البري والجوي ..

* * *

وبعد « فزان » ، أخذ العدو يستعد لاحتلال « الكفرة » .

والكفرة منطقة تتالف من عشر واحات ، تقع على مسافة نحو ألف كيلومتر جنوبي بنغازي .. ومن هذه الواحات : « تازربو » و « الهواري » و « الهويويري » ..

وما تمتاز به الكفرة أنها معقل قوي من معاقل النضال

والكفاح ، وقد رأى العدو أن المجاهدين بدأوا يتحولون إليه ، وبخاصة إلى واحة تازربو ، بعد أن أخذت تتساقط في يده بعض معاقل الجهاد الأخرى .

على أن السلطات الاستعمارية لجأت ، بادىء ذي بدء ، إلى عزل المجاهدين في الجبـــل الأخضر ، الذين يقودهم « عمر المختار » ، وذلك بان أجْلَتْ عن الجبل القبائلَ العربية ، وقد كانت عونا للمجاهدين ، فمنها ياكلون ، وإليها يلتجئون إذا ما اشتدّت عليهم قبضة المحتلّين .

رَحّلَت السلطاتُ هـذه القبائلَ ، وعددُ أفرادهـا ثمانون ألفاً ، وألزمتهم بان لا يتجاوزوا ـ في رعيهم الغنم والإبل ـ مساحةً من الأرض صغيرةً قاحلة عيّنتها لهم ، وهي لا تكاد تكفي لعشرة آلاف نسمة ، ناهيك عن ثمانين ألفاً ![1]

---

(١) يقول الطاهر أحمد الزاوي في كتاب « عمر المختـــار » : إن عرب الجبل الأخضر هؤلاء قد فتك بهم الجوع والمرض فتكاً ذريعا ، وكان حصرهم، في تلك الساحة الضيقة صورةً مصغّرة من يوم الحشر . وقد ظلوا في محشرهم هذا ، من أيـــلول (سبتمبر) ١٩٣٠ ، إلى أن أذِنَ لمن بقي منهم حيّاً بالرجوع إلى الجبل الأخضر سنة ١٩٣٤ ، ولم يتجاوز عدد الباقين على قيد الحياة خمسة عشر ألفا !.. وتلك صورة أخرى للهمجية ، تدل على مدى استهانة الاستعمار الإيطالي بالإنسان ..

وكان فصل هذه القبائل عن كتائب المجاهدين ، أمضى سلاح استعملته إيطاليا للقضاء على الثورة في برقة ...

وبعدئذ عمدت إلى احتلال « الكفرة » .

* * *

والحق إن الضربات المتلاحقة ، التي كالتها قبضة المجاهدين على مدى بضع عشرة سنة الماضية للقوات الغاصبة ، جعلت هؤلاء يهتمون بهذه الحملة اهتماماً كبيراً ، بعد أن أدركوا أن بسالة المجاهدين وصبرهم وعنادهم ، لا يحطمها إلا عتاد وفير وقتال مرير

وهكذا مضى « الجنرال غراتسياني » ، قائد هذه الحملة الصحراوية ، يُعِدُّ كل ما استطاع من قوة ، معتمداً في الوقت ذاته على عامل المفاجأة والمباغتة ، مع التعويل الكبير على القصف الجوي !

وراحت الطائرات تقصف الواحات يوم ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٣١ ، في الوقت الذي شنَّت قواته البرية هجومها عليها .. فاضطر المجاهدون - وقد رأوا هذه القوة كلها - إلى مناوشة المهاجمين كي يُتيحوا الفرصة لمن

يريد من الأهالي أن ينجو بنفسه من الهلاك ، وقد بدا أن القصف سيُدَمّر كلّ شيء ..

وخرج أهل الكفرة منها زرافاتٍ ووحدانا ، على غير هدى ، مندفعين إلى صحراء موحشة ، لا يلوون على شيء ..

وقد صدر البلاغ الايطالي الرسمي ، إثر احتلال هذه الواحات في يومي ١٩ و ٢٠ كانون الثاني (يناير) ،ليقول متفاخراً في غير استحياء :

« وتعقّب الجنودُ والطائرات الفارّين ، وطاردوهم إلى مسافة مئتي كيلومتر ، وقد تركوا في الطريق نساء وأطفالاً .. » !!

وقد أطلقت السلطاتُ أيدي جنودها في واحات الكفرة ، مدةَ ثلاثة أيام ، للعبث والتخريب ، فدمّروا ، ونهبوا ، ودنّسوا الأعراض ، واعتدوا على حرمات الناس العزّل دون وازع من ضمير . وعندما ذهب بعض المشايخ إلى قائد الحملة « غراتسياني » ، يرجونه أن يُصدِر أمره

إلى جنوده بالكفّ عن هذه الاعتداءات ... فماذا كان الجواب ؟

لقد قتل هؤلاء المشايخ رميـًا بالرصاص ، باعتبارهم « خونة »!!

إن أعمال إيطاليـا في ليبيا ، مما يَنْدى له جبينُ الإنسانية . وإن التحدث عن الفظاعات التي ارتكبت ضد الناس الأبرياء ، وبخاصة على يد « غراتسياني » الذي لُقّب عن جدارة بـ « سفّاح ليبيا » ، أمرٌ لا تفيه إلا كتبٌ وأسفار .

وبحسبنا أن ننقل ، هنا ، فقرات ممـا كتبتـه جريدة « الأهرام » القاهرية ، في تلك الآونة ، عما فعلته الطائرات بالأهالي الذين نزحوا عن « الكفرة » يوم العدوان ، فقـد تبعتْهم على مسيرة ثلاثة أيام من الكفرة ، فقتلتْ معظم الجمال التي كانت معهم ، مما جعلهم يُواصلون السير – في الصحراء المحرقة – على اقدامهم ، حتى أشرفوا على الهلاك ، ومات بعضهم في الطريق إعياءً وعطشا .

وقد أسرع واحد من هؤلاء إلى إبـلاغ المسؤولين في

إحدى نقاط الحدود المصرية ، بما نزل بقومه من بطش الطليان ، فقامت سيارات ، في مساء ٢٥ / ١ / ١٩٣١ ، لإسعاف من بقي منهم على قيد الحياة ..

وقد رأوا .. وماذا رأوا ؟

رأوا الناس : من مات منهم ، ومن تهالك على الرمال عطشاً وتعبا ، ومن هو في النزع الأخير ، ومن فاضت روحه إلى بارئها ..

رأوا الرجل يسير وحده هائماً على وجهه ، وكذلك المرأة تسير وحدها ، كلٌّ يريد أن ينجو بنفسه من هذه المهلكة الفظيعة ..

فأما الذين قضوا نحبهم ، فقد عمدوا إلى دفنهم حيث هم .

وما هذه إلاّ لوحةٌ صغيرة تُضاف إلى « مآثر » إيطاليا في ليبيا ، وقد أرادت أن تحتل هذا القطر العربي من أجل أن « تُمدِّن » سكانه ، وتجعلهم في صميم الحضارة الحديثة كما زعمت وادّعت ! !

* * *

ولم يبقَ على « سفاح ليبيـــا » إلا أن يقضي على آخر جيوب المقاومة ، المتمثلة في قيادة « عمر المختار »

وإذا كان ترحيل القبائل العربية من الجبل الأخضر يُعَدُّ ضربةً قاصمـــةً للمجاهدين ، وإذا كان احتلال الكفرة هو الضربة القاصمة الثانية ،فإن العبقرية الاستعمارية - التي يتمتَّع بها الطليان - قادتهم إلى التفكير بمدّ خط طويل من .. « الأسلاك الشائكة » على الحدود مع مصر !

ذلك أن المجاهدين في برقة كانوا على اتصالٍ وثيق ومستمر بمصر العربية ، يحملون إلى أسواقها ما يَغْنَمون من القوات المحتلة ، ويتلقَّوْن منها الإمدادات .. وكانوا يجتازون الحدود إليها بقوة السلاح ، دون أن يستطيـــع جندُ الحكومة أن يفعلوا شيئاً .

وقد رغب « غراتسياني » في أن يحول بين المجاهدين وبين أن يجتازوا هذه الحدود .

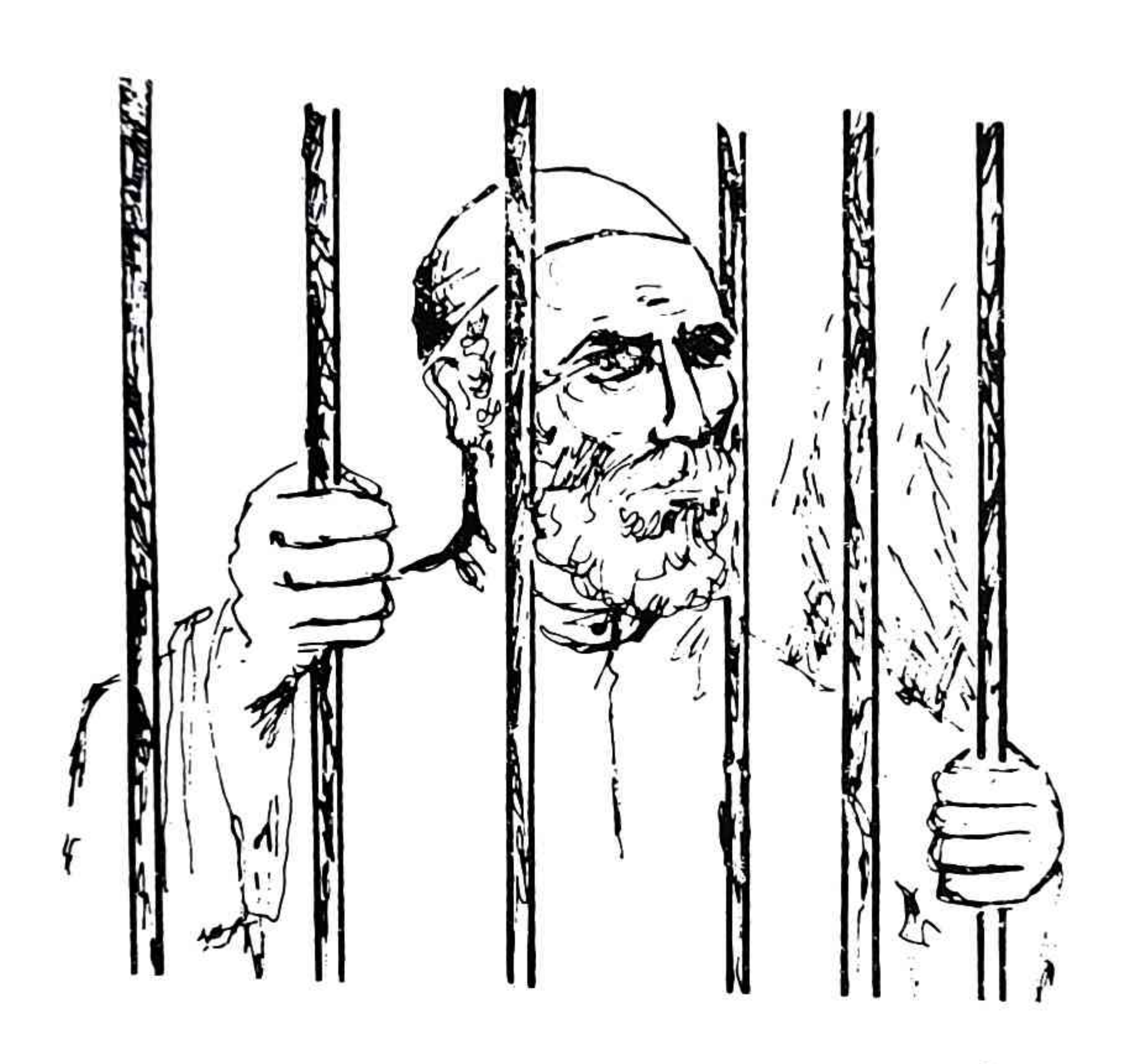
فماذا فعل ؟

شرع في مدّ خط من الأسلاك الشائكة على الحدود ، ابتداءً من البحر في الشمال ، حتى ما بعد الجغبوب ، وهي

مسافة تزيد على ثلاثمئة كيلومتر .. وقد استغرق العمل في مدّ هذه الأسلاك نحو خمسة أشهر .

وكانت تلك هي الضربة القاصمة الثالثة ، فقد أصبح من المتعذر على المجاهدين أن يجتازوا الحدود بعد الآن ، لا سيما وقد « غرسها » « غراتسياني » بجنود على طولها !

وذلك إنجاز « شيطاني » ، قد كلّفه مزيداً من الجهد والمال ، ولكنه قــام به في سبيل أن يسدّ المسالك على البقية الباقية من المجاهدين ، ويقطع عنهم كل إمداد .



الجنرال غراتسياني : إذا كنت لا تستطيع ، بامكاناتك الضئيلة وعددك القليل ، أن تطردنا من بلادك ، فما الذي تسعى إلى تحقيقه إذن ؟

الأمير عمر المختار : حربُنا لكم فرضٌ علينا ، لأنكم مغتصبون . وما النصر إلا من عند الله .

ووقع «المختار» اسيراً

كان من عادة المجاهدين أن يقوم نفرٌ منهم بعملية استكشاف لمواقع العدو لرصد تحرّكاته، بقصد التعرُّف على ما قد يبيّته من نيّة الهجوم على معاقلهم.

وبينما كان «عمر المختار»، مساء يوم ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٣١، على رأس سرية من أصحابه ـ تقدَّر بخمسين فارساً ـ يجوس ناحية «سلنطة»، إذا به يفاجأ، وهو في أحد الوديان، بطلائع من جيش العدو... ذلك أن حاكم المرج «داود ياتشي»، كان قد علم من المخابرات بخروجه، فأرسل قواتٍ تتصدّى له تفوق قواته.

حاول «عمر المختار» الخروج من الوادي، قبل أن يقوم العدو بحركة التفاف حوله، فاتجه بمن معه وجهةً أخرى.. فإذا بخيّالة العدو تتصدّى لهم من الجانب الآخر أيضاً.

ودارت معركة صغيرة غير متكافئة ، كان فيها المجاهدون بين نارين ، وهم يلتمسون طريقاً للنجاة ، فأصلاهم العدو بوابل من رصاصه .. فقُتل ، في ذلك ، جوادُ القائد الشيخ ، فكبا به على الأرض ، وسبّبتْ له السقطةُ جروحاً وتشقّقاً في عظام ذراعه ... ولكنه زحف مبتعداً بنفسه ، ليختفي بين أشجار الغابة .

ولكن جنود العدو أطبقوا عليه .

وتعرّف أحدهم عليه .

وما إن تحقّق العدو من أن « الأسير » هو « عمر المختار » ، حتى طيّروا الخبر لقائدهم الذي حضر بالطائرة حالاً إلى « سلنطة » ، قصد أن يتعرّف بنفسه على شيخ المجاهدين ، لأنه سبق أن اجتمع به عدة مرات في أثناء المفاوضات التي لم تنته إلى شيء .

وما أن تأكد أنه هو نفسه القائد الذي دوّخهم تدويخاً حتى أوعز بنقله إلى مدينة « سوسة » الواقعة على البحر .

ووصل « المختار » إلى هناك ، مساء ١١ أيلول (سبتمبر) ، ومن « سوسة » أركب طرّاداً ، مضى

يَمْخُر به البحر إلى بنغازي ، التي وصلهـــا مساء اليوم الذي يليه .

ويعترف « غراتسياني » في مذكراته :

... وقد تحدَّث بعضُ رجال الحكومة إلى « عمر المختار » ، في أثناء رحلته من سوسة إلى بنغازي،ووجهوا إليه الأسئلة ، « فكان يجيب عليها بكل هدوء ، وبصوت قوي ثابت ، ودون أن يبدو عليه أي تأثر من الموقف الذي هو فيه »[1] .

ويمضي « سفاح ليبيا » فيقول :

إن « عمر المختار » أبدى بالـــغ أسفه لأن رفاقه ، الذين حاولوا إنقاذه لحظة سقوط جواده به ، قد تساقطوا برصاص الإيطاليين ، وقال : « إن وقوعي في الأسر لا يعني توقُّف الثورة والجهاد ، فهناك أربعـــة من القادة يَحِلُّون محلّي .. » .

---

(١) من كتاب « غراتسياني » المسمّى : « برقة المهادئة » ، فصل «القبض على عمر المختار وكيف حدث » ، وقد نقل الكتاب عن الإيطالية إلى العربية الأديب الليبي « ابراهيم سالم بن عامر » ، ونشر في بنغازي في العام ١٩٧٤ ، وسوف نرجع إلى هذا الكتاب بالنسبة لهـــذه المرحلة الأخيرة من حياة شيخ الشهداء .

ويقول «غراتسياني» :

إن «المختار» أعرب عن أن جماعته يبلغ عددهم ٩٠٠ مجاهد ، منهم ٤٠٠ من الفرسان ، على حين أن التقارير التي كانت لدينا تؤكد أن عدد الرجال التابعين له لا يزيد على ١٥٠ !

وقال «المختار» أيضاً : «إني أحارب الإيطاليين الفاشيستيين ، لا لأني أكره الشعبَ الإيطالي ، ولكنّ ديني أمرني بالجهاد فيكم لأنكم أعداء الوطن» .

وقال : «أخذتموني أسيراً ، ولكم القدرة على أن تفعلوا بي ما تشاؤون . والذي أريد أن أؤكده أني لم أفكر ، في يوم من الأيام ، أن أسلّم نفسي لكم مهما كان الضغط شديداً . ولكن مشيئة الله أرادت هذا ، فلا رادّ لقضاء الله» .

وشاع خبر وصول «عمر المختار» إلى بنغازي ، فاحتشد الناس على رصيف الميناء . ولكن السلطات لم تسمح لأحدٍ أن يدنو من الأسير ، الذي كان محاطاً بجنودٍ مدّججين بالسلاح !

ثم نُقل إلى السجن بسيارةٍ تحرسها قوة مزوّدة بالمدافع الرشاشة.

وأُودِعَ، وحيداً، في زنزانة.

* * *

ولئن كان وقوع شيخ المجاهدين في قبضة الأعداء، قد هزّ مشاعر المواطنين وأحزنهم، فقد هزّ - من ناحية أخرى - مشاعر الإيطاليين وأبهجهم.

وكان سفاح ليبيا يقضي إجازة في إيطاليا، عندما بلغه نبأ القبض على «عمر المختار». وكان يستعد للسفر إلى باريس زائراً. ولكنه سرعان ما غيَّر اتجاهه، واستقل، صباح يوم ١٣ أيلول (سبتمبر)، طائرة حملته إلى طرابلس، حيث اتفق مع «المارشال بادوليو» الحاكم العام لليبيا، على إجراء محاكمة سريعة وخاطفة لـ «عمر المختار»، والحكم عليه بالإعدام! ثم تابع سفره إلى بنغازي فوصلها مساء اليوم التالي.

ولم يشأ «غراتسياني» أن يُضيّع الوقت سدى،

فطلب ، صباح يوم ١٥ ، أن يُحضِروا إليــه « عمر المختار » .

فحضر إليه ، مكبّلا بالحديــد ، رغم الجروح والكسور التي أصيب بها ، وكان يُغطّي رأسه بـ « الجرد » ويسحب خطواته بصعوبة .

ويعترف السفاح الكبــير - الذي لم يُشِر لخصمه بالجلوس رغم جراحه أو رغم شيخوخته البادية ! - بأن هذا الوطني ، الذي يَمْثُل أمامه ، هو رجل لا كالرجال فقد كانت تبدو عليه سيماء الأنفــة والإباء على الرغم من مرارة الأسر .

وقد سأله ، بواسطة ترجمانه الخاص :

- لماذا تحارب ، دون هوادة ، الحكومة الفاشيستية ؟

أجابه البطل ، بصوتٍ هادىء ونبرة واضحة :

- من أجل وطني وديني .

- وهل دار في خَلَدِك ، في يوم من الأيام ، أنــك

مستطيعٌ أن تطردنا من برقة ، بإمكاناتك الضئيلة وعددك القليل ؟

– لا !

– إذن ، ما الذي تسعى إلى تحقيقه ؟

– حربُنا لكم فرضٌ علينا ، لأنكم مغتصبون . وما النصر إلا من عند الله .

– ولكن كتابك يقول : « ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التَّهْلُكة » ، أي لا تَجْلبوا الضرر لأنفسكم ولغيركم من الناس . ألا يقول القرآن ذلك ؟

– بلى .

– فلماذا تحارب إذن ؟

– من أجل وطني وديني ، كما قلت .

هنا أخذ الجنرال يقول:

– بل أنت تحارب من أجل « السنوسية » ، تلك المنظمة التي كانت السبب في تدمير الشعب والبلاد ، فضلاً عن أنها تستغلّ الناسَ في أموالهم دون وجه حق . هذا هو الدافع الذي يجعلك تحاربنا ، لا الدين والوطن ، كما تقول !

فرمى الأسير محدّثه بنظرةٍ حادّة، وصفها «غراتسياني» في كتابه بأنها أشبه بنظرة « وحش مفترس » ، وقال :

ـ لستَ على حق فيما تقول . ولك أن تظن ما تشاء . ولكن الحقيقة الساطعة التي لا تقبل الجدل أني أحاربكم من أجل ديني ووطني .

ثم قال الأسير ، المسنُّ الجريح :

ـ أنا طاعن في السنّ ، كما ترى . دعني أجلس .

لم يعد في وُسْع الجنرال أن يرفض هذا الطلب . فدنا منـــه الأسير ، وجلس على كرسي قريب من مكتبه . فاتّضحت له إذ ذاك ، ملامح هذا المحيّا ... أخذ يتامله مَليّاً : الوجه قد لوّحتْه الشمس ، فهو أسمرُ مُشْرَبٌ بالحمرة ..

ويُحدّث الجنرال نفسه : هوذا القائــــد الذي طالما رَهِبْنا جانبَـــه ! وفكّـر . ترى كيف كان يُخطّـط معاركه ؟ ثم فكر : إنه قديس ، إن كلامه عن الدين وعن الجهاد ، يدل بكل تاكيد على أنه مؤمن صادق الإيمـان ، يتكلم عن الدين بكل حماسة وتأثر .

ثم توجه إليه بالسؤال :

ـ بما لك من نفوذٍ وجاه على جماعتك ، بكم يوم ترى أن « العصاة » ـ إذا أنت أمرتَهم ـ يمكــن أن يخضعوا لحكمنا ويُسلّموا أسلحتهم ويُنْهوا الحرب ؟

فأجاب « عمر المختار » :

ـ لا يمكنني أن أفعل ذلك . إننا ، نحن المجاهدون ، أقسمنا أن نموت جميعاً ، الواحد بعد الآخر ، ولا نُلقي السلاح .

ثم عرض « غراتسياني » على « عمر المختار » نظارةً كان الجند قد عثروا عليها في إحدى المعارك السابقة ، وساله :

ـ هل تعرف هذه النظارة ؟

ـ نعم ! إنها لي ، وقد وقعت مني في معركة « وادي السانية » .

ـ منذ ذلك اليوم ، وأنا أعتقد بانكستقع أسيراً بين يدي !

ـ مكتوب !

ـ حسنا ، أنت تعتبر نفسك مَحْمِياً من الله، وتحارب من أجل قضية مقدّسة وعادلة .

ـ لا شك .

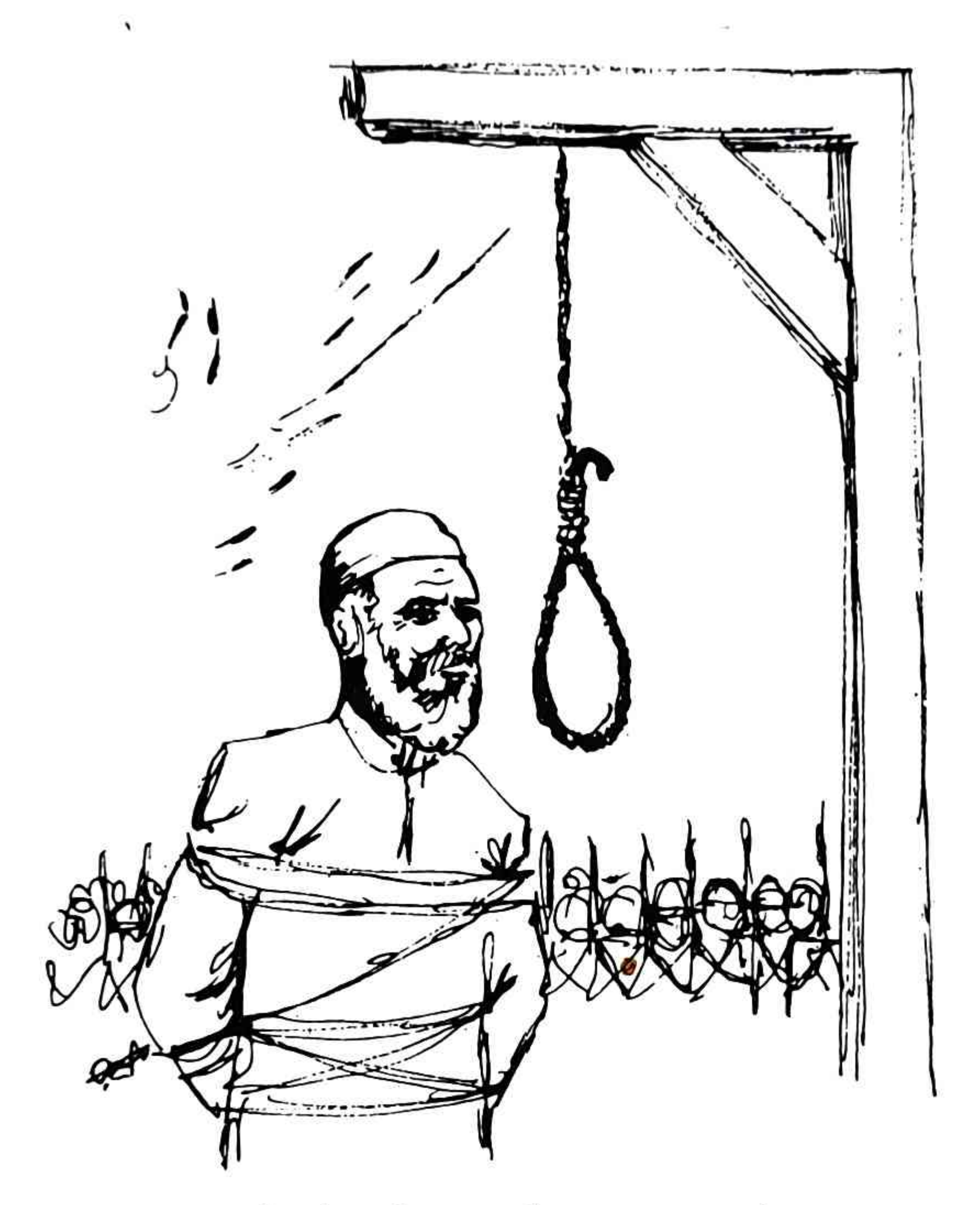
ـ أليس من العجيب أن يقع أسيراً من كان يُعتَبر أسطورةً، وأنه لا يُغلَب أبدا ، وأنه المَحْميّ من الله !؟

أجاب «عمر المختار» بصوت ـ كما وصفه «غراتسياني» ـ يدلُّ على القوة والعزم :

ـ تلك مشيئة الله .

ـ لقد اعتقدت أنك كنت دائمًا قوياً . وإني أتمنى أن تكون كذلك مهما حدث لك ، ومهما تكن الظروف !

ـ إن شاء الله .



« إن عمر المختار هو ابنٌ لهذه الأرض قبل أن تطأها أقدامكم ، وهو يعتبر كلَّ من احتلّها عَنوةً عدوّاً له، ومن حقه أن يقاومه بكل ما يملك من قوة.. إن هذا حقٌ منحته إياه الطبيعة والإنسانية ... »

« لونتانو »
محامي الدفاع



ـ محاكمة ... وحكم !

ويقول « الجنرال غراتسياني » مختتماً حديثه عن ذلك اللقـاء التاريخي بينه وبين « عمر المختـار » ، الذي جرى صباح الثلاثاء ١٩٣١/٩/١٥ :

« وعندما وقف ليتهيّـأ للانصراف ، كانـ جبينُـه وضّاءً ، كأنّ هالةً من نور تحيط بـــه . فارتعش قلبي لجلال الموقف ، وأنا الذي خاض معارك الحروب العالمية ، والصحراوية ، ولُقّبتُ بأسد الصحراء ، ورغم هذا فقد كانت شفتاي ترتعشان،ولم أستطع أن أنبس بحرف واحد .

« وعند وقوفه ، حاول أن يمدّ يده لمصافحتي،ولكنه لم يتمكّـن ، لأن يديه كانتا مكبّلتين بالحديد . وخرج من مكتبي ، كما دخل عليّ ، وأنا أنظر إليه بكـــل إعجاب وتقدير » .

أجل ،

« أسد الصحراء » طليقاً .. يرتعش أمـــام شيخٍ في السبعين ، أسيرٍ وجريح ، ومكبّلٍ بالحديد !

تلك هي العظمة الحقيقية : عظمة المجاهد الصادق ، الذي يقهر قوات الأعداء بسلاحه الضئيل وروحه العالية! يُرْهِب قادتهم ، حتى وهو في الأغلال تَحُزُّ معصميه !!

ويتنفَّس « غراتسياني » الصعداء ، بخروج « عمر المختار » من مكتبه ، وقال يطمئن نفسه :

ـ « الآن ، انتهت ماساة برقة » !

والحق ، إن ماساة الشعب ، كل شعبٍ محتلّ ، تبدأ ، أو تتفاقم إذا ما قُضي على المجاهـــدين الذين هم درعُ الشعب ، ومَعْقِدُ آماله ، ومحطُّ رجائه في الخلاص من محنةٍ من مِحَنِ التاريخ المعدودة .

* * *

صباح يوم الثلاثاء، اجتمع «غراتسياني» بـ «عمر المختار»

وفي مساء يوم الثلاثاء ذاته ، عُقِدَت « المحاكمة » ، في الساعة الخامسة والربع : في مركز ادارة الحزب الفاشيستي في بنغازي .

ووُجِّهت إلى « عمر المختار » : تهمـة الاعتـداء على سلامة الدولة !.. وعلى أمن البلاد ! وتهمة قطع الطريق!!

أجل « عمر المختار » ، القائد الوطني الشجاع العظيم، في نظر المستعمرين : قاطع طريق !!!

مجرّدُ اختلالٍ في الموازين : المدافعُ عن وطنه ضد الغاصبين يصبح في قفص الاتهام : معتدياً على سلامة الدولة، وعلى أمن البـــلاد !!!

ويطالب « النائب العام » بالحكم على « المختار » . . . بالإعدام !

ثم سئل المحامي ، المنتدب للدفاع عن « عمر المختار) (وهو ضابط إيطالي شاب برتبة نقيب ، اسمه "لونتانو" إذا كان لديه ما يعلّق به على كلام النائب العام ؟

فقال المحامي الشاب :

ـ سيدي القاضي ! إن هـــذا المتهم ، الذي انتدبت للدفاع عنه لو أني التقيتُ بـه في الشارع، لما ترددتُ لحظة في أن أشهر عليه مسدسي هذا وأرديه قتيلا ، لأنـه عدوي وعدو دولتي. . .غير أن ما أريد أن أقوله إن "عمر المختار" إنما يدافع عن حقيقةٍ كلنا نعرفها ، وهي الوطن الذي طالما ضحّينا نحن في سبيل تحريره ! إن هذا الرجل هو ابنٌ لهذه الأرض، قبل أن تطأها أقدامكم . وهو يعتبر كلّ من

احتلَّها عَنوةً عدواً له ، ومن حقه أن يقاومه بكل ما يملك من قوة ، حتى يخرجه منها أو يَهْلَكَ دونها . إن هذا حقٌ منحتْه إياه الطبيعة والانسانية ...

وهنا ارتفعت أصواتُ الاحتجـاج من الفاشيست الحاضرين ، وطلبوا إخراج المحامي من قاعة المحكمة !

ولكن المحامي ، المخلص لواجبه ، تابع :

- إن العدالة الحقة لا تخضع للغوغاء ، وإنما يجب أن تنبع من ضميرنا وانسانيتنا ! إن « عمر المختار » شيخ هرم ، قد أحْنَت السنون ظهرَه . وماذا بقي له من العمر بعدما بلغ السبعين ؟ إني أطلب من عدالة المحكمة أن تكون رحيمة ، فتخفِّف العقوبة عنه، لأنه صاحب حق. ولن يَضيرَ العدالةَ إذا هي أنصفتْه بحكم أخفّ واني آمل أن تَحْذَر عدالةُ محكمتكم حكمَ التاريخ ، فهو لا يرحم، إن عجلته تدور ، وتسجل كل ما يحدث في هذا العالم المضطرب . .

وعندما نهض النائب العام ليواصل احتجاجه ، قاطعه رئيس المحكمة برفع الجلسة للمداولة ... وإصدار الحكم !

وبعد ربع ساعة ، عادت المحكمة إلى الانعقاد . وتلا رئيسها الحكم ... فكان :

الاعدام شنقا !

يقول ‹ غراتسياني › ، في كتابه ‹ برقة الهادئة › :

‹ وعندما تُرْجِم مضمونُ الحكم لعمر المختار ، ضحك ، وقال بكل شجاعة : الحكم حكم الله ، لا حكمكم المزيّف . إنّا إليه راجعون › !

ترى ، لو أن ‹الجنرال غراتسياني› هو الذي كان في موقف ‹ عمر المختار› : في قفص الاتهام بين أيدي المجاهدين ، أكان يملك أن يضحك ، أو يبتسم ؟ !

ذلك أن من يأمر الطائرات بأن تقصف العزّل، وتقتل النساء والأطفال ، جديرٌ به أن يَخُرّ ـ في مثل هذا الموقف ـ على الأرض مصعوقاً من فرط الخوف !

وذلك هو الحدّ الفاصل بين ... الشجاعة ... وبين الُجبن والخسّة والدناءة .

* * *

صدر الحكم مساء الثلاثاء ...

وكان قد تقرّر أن ينفّذ الحكم صباح اليوم التالي (الأربعاء ١٦ /٩/ ١٩٣١) .

والسلطات نصبت المشنقة قبل الحاكمة ! .. وانهمكت ،

خلال اليوم السابق ، بنقل المعتقلين بالسيارات والقطارات من مختلف سجون المنطقة ، إلى مدينة «سلوق» (جنوبي بنغازي) التي اختيرت مكانا لتنفيذ الاعدام .

وشاء الحقد الاستعماري الأسود أن يحشروا في ساحة الأعدام ، الجموعَ الغفيرة من سكان تلك الناحيـة وأهل البادية القريبة منها . وقدر سفاح ليبيا « عدد الحاضرين من مختلف الفئات بما يزيد على عشرين ألف نسمة. (ويقول) وكان الموقف مؤثراً للغاية » ! !

وفي الساعة التاسعة من صباح الأربعاء ، اصطفّ عددٌ كبير من المعتقلين الوطنيين ، وقد أحاط بهم الجنود من كل جانب .

وجيء بشيخ المجاهدين إلى الساحة ...

وسُلّم إلى الجلاّد ...

ورُفع إلى المشنقة ...

ووضع الحبل حول العنـــق ...

وصعدت الروح الطاهرة إلى بارئها ...

وأصبح « شيخ المجاهدين » منذ تلك اللحظـــة : « شيخ الشهداء » ...

وكان له من العمر تسعة وستون عاماً .

* * *

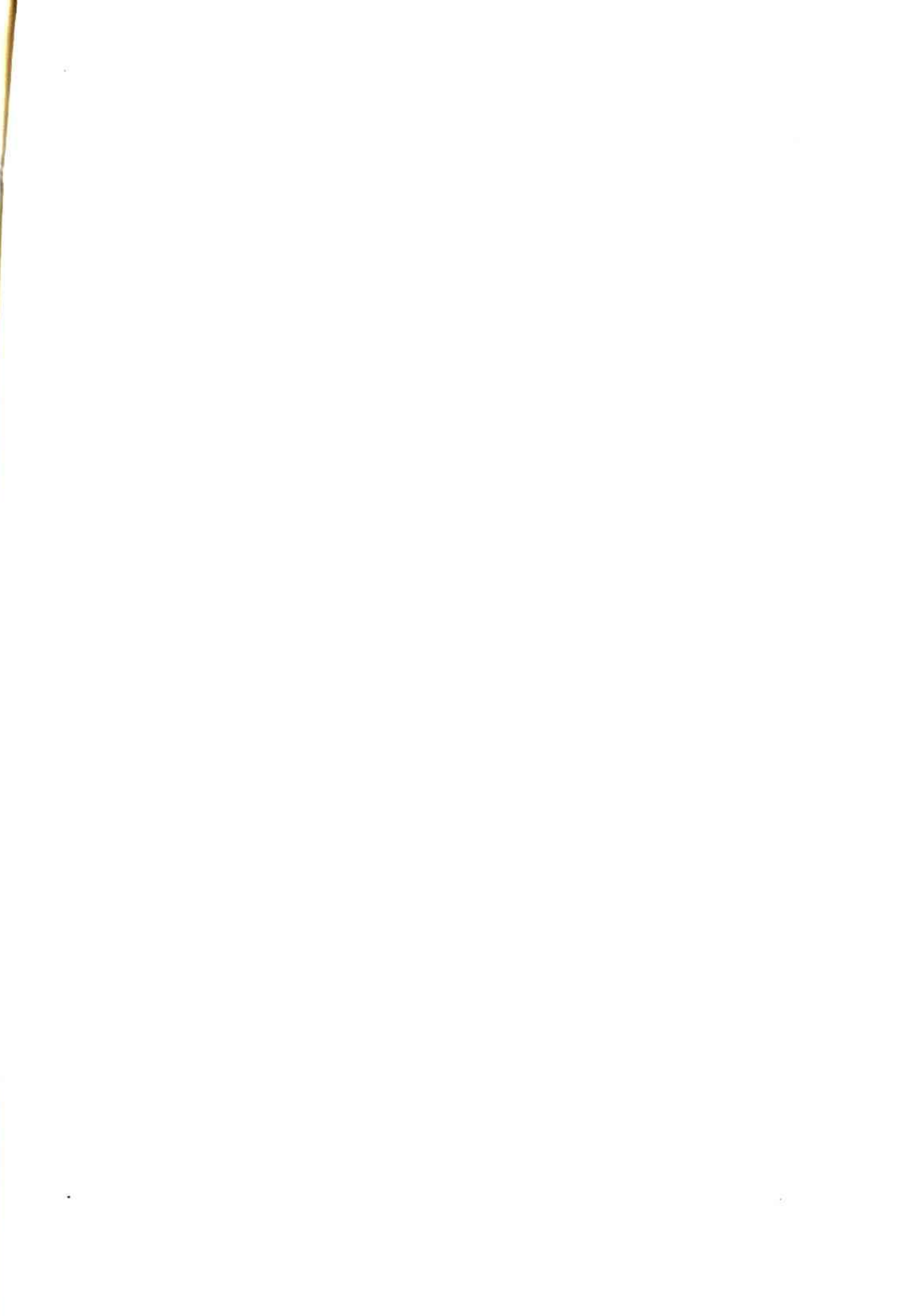
كان لاعدام « عمر المختار » وقعٌ أليم في نفوس العرب والمسلمين ، فقد استنكروا هذا التصرُّف البعيدَ عن القيم الأخلاقية والانسانية .

لقد كان واضحاً جليّاً لكل ذي عينين أنـــه حمل السلاح دفاعاً عن وطنه وشعبه ، وما نازل الأعداء إلاّ في ساحات القتال ... فلماذا الحـكمُ عليه بالاعدام ؟

لقد قام في الوطن العربي الكبير الممتدّ من الخليج إلى المحيط رجالٌ شرفاء من طرازه ، حملوا السلاح دفاعاً عن أوطانهم ضد المحتلّين ، مثل الأمير محمد عبـــد الكريم في المغرب ، والأمير عبد القادر في الجزائر ، وأحمد عرابي في مصر ، وإبراهيم هنانوا في سورية ... وقد وَقَع هؤلاء في قبضة اعدائهم ، ولكنهم عوملوا معاملةَ الأبطـــال وقادة الجيوش ، لأن أعمالهم إنما كانت تتوخى الدفاع عن الوطن... وذلك من أنبل ما يسمو إليه الانسان في كل أرض وفي كل زمان .

ولكن مستعمري ليبيا العربيـــة ... كانوا من طراز آخر !

فكم كان نبيلاً من ليبيا الثورة ، اليوم، أن تكتفي بأن تطرد من أراضيها الجالية الايطالية فحسب ، دون أن تنتقم منهم مثقال ذرّة ، على ما جنت أيديهم وأيدي آبائهم الملطخة بدماء عشرات الألوف من الأبرياء !



شهادات

ارتكب الطليان في ليبيا ، العربيــــة من الأعمال الوحشية ما يَعجَز العقلُ البشري عن تصوّره .

ذلك أنهم ـ وقد أتوا البلاد غاصبين ناهبين ـ قــــد أخذوا على عاتقهم الفتكَ بأهلها وإبادتهم ... وهكذا هان عليهم أن يفعلوا بالعبـــاد كل شيء دون وازع من خلق أو ضمير .

وإذا كان العالم العربي قــــد ضجّ ، آنئذ ، من تلك المجازر الدموية ، واحتجّت الأمم الاسلامية بما ملكت من قوة الاحتجاج، فان الضمير ،لدى بعض الكتّاب الأوربيين، كان مستيقظاً أيضاً . فلما شاهد بعضهم ما تقترفه أيدي الطليان ، لم يكن لهم أن يسكتوا أمام هذه الفظائع الـتي يَشيب من هَولِها الولْدان .

كان « فرانسز ماكولا » ، الصحفـــي الانكليزي ، يرافق الجيش الايطالي في احتلاله طرابلس ، فلما شاهد الفظائع بعينيه ،رفض البقاء مع جيش لا همّ له ـ كما يقول ـ إلا ارتكاب جرائم القتل ... وكتب يقول :

● « إن ما رأيتهُ من المذابـــح ـ من ترك النساء العربيات المريضات هنّ وأولادهن ، يعانون سَكَراتِ الموت على قارعـــة الطريق ـ جعلني أكتب إلى الجنرال « كانيفا » كتاباً شديـــد اللهجة ، قلت فيه : إني أرفض البقاء مع جيش أنا لا أُعدُّه جيشاً ، بل عصابةً من قُطّاع الطرق والقتلة » !

ويقول النمساوي «هرمان رنول» وهو مراسل حربي:

● « لقد أحرق الطليان ، يوم ١٩١١/١٠/٢٦ ، حيّاً من أحياء مدينة طرابلس يقع خلف بنك روما ، بعد أن ذبحوا أكثر سكانـه، وبينهم النساء والشيوخ والأطفال» !

وقال ، بعد أن شاهد ما شاهد :

● « رجوت طبيبين عسكريين من أطباء المستشفى ، أن ينقلوا بعض المرضى والمصـــابين . المطروحين على الأرض تحت حرّ الشمس ، فلم يفعلا ، فلجأت إلى راهب من كبار رجال جمعية الصليب الأحمر ، هو « الأب يوسف بافيلاكو » ، وعرضت عليه الأمر ، وأخبرت بذلك شاباً فرنسيا . ولكن الأب بافيلاكو حَوّل نظره عني ، ونصح الشاب الفرنسي بان لا يزعج نفسه من أجل « عربي » في

سكرات الموت !.. وأضاف : « دعه يموت! » ... وصباح اليوم التالي ، وجدت الجرحى - الذين رجوت الراهب من أجلهم - قد ماتوا ! ورأى ذلك معي «فون غوتبرغ » الألماني فبكى من تأثره » !

ويقول هذا الكاتب الألماني « فون غوتبرغ » .

● «رأيت طائفة من الجنود يسوقون خمسين عربياً، من رجال وأطفال . فادخلوهم مكانا قد تهدّم، وبدأ الضباط يقتنصون هذا الصيدَ بمسدساتهم وبنادقهم مدةَ عشرين دقيقة ، وكانوا كلما سمعوا أنينا من جثة ، أعادوا إطلاق النار عليها ... حتى ينقطع الأنين ! » .

وقالت جريدة « الديلي كرونيكل » الانكليزية :

أستمر الجيش الايطالي ثلاثةَ أيام يطلق الرصاص على كل من يلقاه من العرب ، فهلك عددٌ كبير من النساء والأطفال ، وبلغ مجموع القتلى ، خلال خمسة أيام ، أربعة آلاف عربي » !

وقال مراسل جريدة « اكسيلسيور » الباريسية :

● « لا يمكن أن يخطر ببال أحدٍ ما رأيناه باعيننا من مشاهد القتل العام ، ومن أكوام جثث الشيوخ والنساء

والأطفال ...ولقد مررت بنحو مئة جثةٍ بجانب حائط، كان قد قضي عليها باشكال مختلفة . ولم أكد أفر من هذا المنظر ، حتى رأيت عائلةً عربية قُتِلت عن آخرها وهي تستعد للطعام . ورأيت طفلةً عربية قد أدخلت رأسها في صندوق حتى لا ترى ما يَحِلُّ بها وباهلها ! إن الايطاليين قد فقدوا عقولهم وإنسانيتهم من كل وجه » !

إن هذه الفظائع الوحشية ، والتي ليس لها مبرِّر ، جعلتْ أحدَ الكتّاب الأوربيين يقول :

● « إن الطليان أهانونا – نحن معشرَ الأوربيين – كثيراً . ذلك أنهم لم يكتفوا بأن أسقطوا منزلة وروبة العسكرية في نظر إفريقية ، بل أفلحوا في أن يُشوّهوا اسم النصرانية أمام المسلمين » .

* * *

تلك نماذج صغيرة عن وحشية الطليـــان ، يوم نزلوا سواحل ليبيـــا العربية في شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١١ .

وأما المجازر ،التي تابعوا القيام بها، في عمليات القمع،

على مدى عشرين عاما ، فقـــد فاضت عن ذلك كثيراً ...

● لقد تفنّـنوا في التنكيل بالسكان حتى أنهم عمدوا ، ذات مرة ، إلى أن يربطوا اثنين من المجاهدين ، همـا : «الشيخ مفتاح يحي العبيدي» وابن عمه «صالح علي العبيدي»، بين سيارتين دفعوهما في اتجاهين مختلفين، فتقطّـع جسداهما، على مشهدٍ من أبناء قبيلتهما المستسلمة !

لكم هو صحيح ما قالته تلك الجريدة الباريسية من أن الايطاليين قد فقدوا عقولهم وانسانيتهم من كل وجه»!.

● ومن فظائعهم أنهم أخذوا المجاهد «الشيخ سعيد الرفادي»، مع خمسة عشر شيخاً من رفاقهـــم ، فحملوهم بالطائرات، وقذفوا بهم من علو أربعمئة متر ، على مشهدٍ من أهلهم .. فكان كلما هوى واحدٌ منهم إلى الأرض هتف الجنود والضباط الطليان ساخرين :

_ « فليات محمد نبيّـكم البدوي ، الذي أمركم بالجهاد ، وينقذكم من أيدينا ! » .

* *

وقد عمدت السلطات الايطالية ، في حين من الزمن إلى السكان البالغين من سن ١٨ _ ٤٥) فادخلتهم في الجندية قسراً ...

وأما الأولاد (من ٤ _ ١٢ سنة)،فقد كانوا يأخذونهم قهراً من أحضان أمهاتهم وآبائهم. ويبعثون بهم إلى إيطاليا، قصد تنشئتهم على دين النصرانية !

فكم كان نبيلا من ليبيا الثورة ، اليوم ، أن تكتفي بان تطرد من أراضيها الجالية الايطالية فحسب ، دون أن تنتقم منهم مثقال ذرة ، على ما جنت أيديهم وأيدي آبائهم الملطّخة بدماء عشرات الألوف من الأبرياء !

وما ذلك إلاّ لأن العربي المسلم الحق ، هو ذاك الذي يعفو عند المقدرة ، وينتصر على نفسه ، فكذلك علّمنا ديننا ، وذلك ما فعله أجدادنا العرب في كل قطر دخلوه فاتحين ... حتى قال أحد المؤرخين الأوربين الكبار ، وهو « غوستاف لوبون » : « ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب » .

الخـــاتمة

كان « عمر المختار » نعم المجاهد ، ونعم القائد ، ونعم الانسان .

كان مجاهداً مِلْءُ قلبه الاخلاص والايمان .

وكان قائداً محنّكاً ، له القدرة الكاملة على سياسة الجموع ، وقيادتها ، وتدبير شؤونها .

وكان إنساناً ذكياً استطاع أن يَسْبُر أغوارَ نفوس الذين جاهدوا إلى جواره ، فاحبّهم ، وأحبُّوه ، حتى نزل في نفوسهم أعزّ منزلة .

ولقد ناضل في ظروف صعبة ، وظلّ يناضل ، وقد وضع نصب عينيه ألا يدع أعداء الوطن والدين ، في راحةٍ ، ما دام قادراً على حمل السلاح .

كان يستجمع خصالاً حميدة لا حصر لها ... ولعل من أروع خصاله ذلك « العيبُ » ، الذي أخذه عليه عدوُّه الألدّ « الجنرال غراتسياني » ، الذي قال :

‹ وذنبه الوحيد أنه يكره هنا جـــداً . فهو في جميع الأحوال ، مخالفٌ لنا ولسياستنا ، لا يلـــين أبداً ، ولا يُهادن ، إلا إذا كان الموضوع في صالح ليبيا › !

أجل .

ذلك ، في نظر العدو ، ذنب ...

وأحْبِبْ به من ذنبٍ ، في نظر المواطنين ، وعند جميع الشرفاء المؤيدين للنضال الحق ، الطامحين إلى العدالة الانسانية تسود الناس في مختلف الشعوب .

الفهرس



كتب من سلسلتي :

ابطال ونوابغ العرب

التي صدرت عن دار العودة – بيروت

- خالد بن الوليد
- صلاح الدين الأيوبي
- الظاهر بيبرس
- طارق بن زياد
- جمال عبد الناصر
- الحسن بن الهيثم (رائد علم الضوء)

- محمد عبده
- مصطفى كامل
- أسامة بن منقذ
- عبد الله النديم
- جمال الدين الافغاني
- احمد عرابي
- عبد الرحمن الجبرتي
- شجرة الدر
- رفاعة الطهطاوي
- عبد الرحمن الكواكبي
- الشيخ عبد الحميد بن باديس
- عبد القادر الحسيني (بطل القدس)
- ابن خلدون
- ابو عبيدة بن الجراح
- عمر المختار
- غوما

- سحدون
- ابو الطيب المتنبي
- ساطع الحصري
- عقبة بن نافع
- سيد درويش
- عبد القادر الجزائري
- موسى بن نصير
- ابو حامد الغزالي

الامة العربية امة غنية برجالها عريقة في تاريخها مثابرة في نضالهـــا .

والامة العربية قد انجبـــت على ترابها ابطالاً ونوابغ لعبوا دوراً رائعاً في الجهاد المسلح وفي الصراع الحضاري ، وكانت مسيرتهم وما تزال ضوءاً يكشف للاجيال عظمة هـــذه الامة العربية التي انجبتهم .

وتعتز دار العودة ان تقدم للفتيان العرب والعمال والطلاب والمدرسين وكل القراء هذه السلسلة التي تتناول قصص حيـــاة ونضال وانجازات رجالات الامة العربية .

وتعتز دار العودة ان تعلن ان الذين اعدوا هذه السلسلة مجموعة من خيرة الاساتذة والباحثين والمبدعين العرب هم :

الدكتور عزالدين اسماعيل	فاروق خورشيد
الدكتور احمد كمال زكي	احمد سعيد محمدية
الشاعر صلاح عبد الصبور	الفنان جمال كامل
الشاعر معين بسيسو	الفنان حسن جوني
عبد المنعم شميس	